كبير

1212
١٢١٢

Eman
www.liilas.com/vb3

حورية الغابة

Nahas
صادر عن دار م. النحاس

حورية الغابة

لماذا يصر ذاك الصوت الصغير في عقل ريبيكا على القول ان نيكولا اكثر من مجرد تسلية؟

بإثارته ناراً متأججة في اعماق قلبها كان سحر نيكولا على ريبيكا اقوى من أي وقت مضى. وحقيقة انها مخطوبة لآخر وان لنيكولا اهتمامات أخرى زادت من حدة عذابها ومن تصميمها على عدم الابتعاد والتشاغل عن مهمتها قيد انملة.

Eman

www.liilas.com/vb3

C

لبنان ٢ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار
قطر R دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار
المغرب ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

شبكة ليلاس الثقافية

حورية الغابة

اعداد

مجموعة من الادباء

والكتاب العالميين

جميع الحقوق محفوظة للناشر

www.liilas.com

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع

Abir 1212

Eman

حورية الغابة

شبكة ليلاس الثقافية

حورية الغابة

قال:«اخبرتك انني انتظرك.» تابع بازدراء وهو ينطق كلماته الاخيرة: «عرفت انه لن يمضي وقتا طويلا قبل عودتك للمطالبة بميراثك.»

هتفت بعنف:«ما ادراك بهذا الشأن؟»

«ستكتشفين ان الاخبار حول الثروات المفاجئة تنتشر سريعا في سكايثوس.»

«لا أرى لميراثي أي علاقة بك.»

«على العكس يا ريبيكا، اظنك ستكتشفين ان له اكبر علاقة بي.»

www.liilas.com

شبكة ليلاس الثقافية

الفصل الأول

لم يكن المفتاح تحت أص زهور البنفسج حيث يتركه جدها عادة. كانت لا تزال تبحث عنه حين سمعت صوت الباب يفتح خلفها، استقامت واستدارت وهي ترمش بعينيها تحت شمس المساء الباهتة ورأت خيال شخص عن عتبة الدار.

كان رجلاً هذا ما عرفته فوراً، رجل طويل القامة عريض المنكبين. لعله المسؤول عن المنزل. لكن لم تذكر رسالة المحامي من بلدة سكايثوس أي شيء عن وجود مسؤول ما عن المنزل...

ابتسمت بارتباك وقالت:«كالسبيرا.» لكنها لم تلق أي رد.

للحظة واحدة فقط شعرت بالذعر ينتابها، من هذا الرجل؟ متشرد؟ احد محبي التسكع والتطفل من الذين يغزون الجزر اليونانية كل صيف ويغتنمون فرصة خلو المنازل من ساكنيها كي يأووا إليها ليلا؟

ربما يكون كذلك... لكن عليها ان توقفه عند حده فذاك افضل. هزت كتفيها وصعدت درجات الشرفة بتصميم.

ثم رددت:«كالسبيرا.» ايضاً لم تلق رداً. انتابتها موجة من الغضب الآن، من يعتقد نفسه هذا الرجل، وما الذي يفعله هنا برأيه بوقوفه بعجرفة عند عتبة دارها؟وفكرت هل تتكلم بالانكليزية ام باللغة اليونانية.

قالت بنبرة حانقة:«ما الذي تفعله هنا؟»

«انتظرك بالطبع يا ريبيكا. وإلا فلِمَ اكون هنا أصلاً؟»

تنفست ببطء لسماعها الصوت الكسول النبراتِ الهادىء، كإن الصوت كما تتذكره تماما، عميقا، مثيرا ومغلفا بدفء اليونان المشرقة لكن مع طبقة رقيقة من السخرية. انه صوت رجل لا صوت صبي.

«نيكولا؟»

كان هذا الاسم ما استطاعت ريبيكا التفوه به. فقد جفت حنجرتها فجأة فيما هي تحدق به وقد لف نفسه بذلك القناع الغامض الذي تذكره تماما عنه ووصل تأثير ذلك اليها فتجمدت على قمة السلالم. من بين كل الناس على جزيرة سكايثوس هو من تراه أولا... توقفي عن هذا، عنفت نفسها بشدة. فطوال فترة سفرها في الطائرة كانت تتمنى ان يكون هو أول من تراه هنا، أليس كذلك؟

لا غير صحيح ردت على نفسها بقوة وأظافر اصابعها تنغرز براحة يدها اليسرى لدرجة شعرت معها ان حجر الألماس في خاتم خطوبتها يكاد يقطع جلدها.

بدا اطول قامة مما تتذكر، وقد تحول الجسد النحيل الى جسد رجل رياضي، قوي وبدا اكثر وسامة من الحلم الذي كان يراودها احيانا، خصوصا حين تكون محبطة او حين تتخاصم هي وريتشارد خطيبها، ذلك الحلم الذي وبعد مرور ثماني سنوات ما زال يقض مضجعها احيانا ويوقظها من نومها بإزعاج...

كان يقف مكانه ناظرا إليها ويديه في جيبيه. نظرت في عينيه الزرقاوين ثم رمشت بعينيها وأشاحت ببصرها عنه قائلة بصوت كان مرتفعا اكثر من اللازم رغما عنها:«لم اعرف انك ستكون هنا.»

رد بنبرة ساخرة:«بالطبع لم تكوني تعرفين، لكنها رغم ذلك مفاجأة سارة بالتأكيد.»

اجابت بجمود:«انها مفاجأة دون شك، لكني سألتك ما الذي تفعله هنا؟»

«وأخبرتك انني بانتظارك.»

«لكن لماذا؟»

رفع كتفيه قائلاً:«علمت ان الوقت لن يطول بك

قبل المجيء للمطالبة... بميراثك.» نطق كلمته الأخيرة بازدراء.

هتفت بعنف:«وما أدراك بهذا الشأن؟»

ازدادت نبرته سخرية:«ستجدين ان اخبار الثروات المفاجأة تنتشر بسرعة في سكايثوس.»

ردت بحدة:«لا أرى لميراثي كما قلت، أي علاقة بك.»

«على العكس يا ريبيكا، اظنك ستكتشفين ان له علاقة بي.»

حدقت ريبيكا به بذهول، في المرة الأخيرة لم يستخدم نيكولا معها هذه النبرة، لم يسبق له ان نظر إليها ابدا، نظرة العدائية هذه، ما الذي حدث في السنوات الثماني الماضية كي يجعله يتغير كليا هكذا؟ ام ان السبب يكمن بها هي؟ هل تغيرت هي كثيراً لدرجة رؤيتها للناس على حقيقتهم لا عبر ضباب المراهقة الزهري؟ لعلها ترى نيكولا الحقيقي للمرة الأولى الآن. لعلها رأت لمحة سريعة من هذا النيكولا حين غادر آخر مرة كانا معاً بقسوة ودون كلمة وداع. لكن حتى رغم ذلك... لتحاول إخفاء ألمها من هذا قالت بغرور:«لا يحق لك مكالمتي بهذه الطريقة لكني سأكون ممتنةلك ان اوضحت لي ما الذي يجري.»

«ان كنت لا تعرفين بعد يا ريبيكا...» بدأ كلامه ولم يحاول إخفاء عدم تصديقه للجهل الذي تدعيه وتابع:«سأكون اكثر من مسرور لشرح الاوضاع لك. تفضلي بالدخول.» وانحنى لها بمبالغة مصطنعة مشيراً الى الباب. ايعقل هذا؟ انه يدعوها لدخول منزلها وكأنه هو مالك المكان! لكنها لن تتأثر بهذا.

اجابت:«شكرا لك.» رفعت رأسها بشموخ ودخلت المنزل.

كانت غرفة الجلوس كما تذكرها تماماً، مريحة غير مرتبة بتلك الرائحة المميزة لأكواز الصنوبر المعلقة على حافة النافذة الكبيرة لتمتص رائحة الدخان.

مجموعة غلايين جدها كانت مرتبة على الرف قرب الطاولة التي عليها الآلة الكاتبة التي كان يستخدمها جدها لطبع كتب رحلاته.

تناولت واحداً من الغلايين وشمت رائحته. بدا وكأنه وضعه هنا للتو ودخل الغرفة المجاورة. اعادت الغليون إلى مكانه واستدارت لترى نيكولا يراقبها بذات الوجه الخالي من التعبير الذي استقبلها به.

قالت:«لم أكن ادري انك تعرف جدي.»

سبق وتقابلت مع جيرالد العجوز. كان صديقاً

لوالدي في الواقع، صديقاً يشاركه احتساء الشاي.»

اجابت:«فهمت.» ولتحاشي النظر إلى العينين الباردتين، جالت ببصرها على الغرفة وتابعت:«لم تتغير الغرفة عما كنت عهدتها في الماضي، آه، باستثناء تلك المرآة.» وأشارت الى مرآة ضخمة الإطار معلقة على الحائط. كانت قديمة وتفتقر للمعان الزجاج الحديث لكنها تعكس بجمال صف المزهريات الصينية الملونة المواجهة لها.

قال:«اخبرني انه وجدها في سوق في اسطنبول، مع انها صنعت مبدئيا لتكون في قصر كما يبدو.»

سألت بضحكة:«حقاً؟»

اجابها بسخرية:«أجل. صنعت لتعكس الجمال المواجه لها. انظري.» وقبل ان تتمكن ريبيكا من التراجع وضع يديه على كتفيها وقادها عبر الغرفة مجبرا إياها على الوقوف امام المرآة. وأطل شكل عليها في ضوء المساء الشاحب المتسلل عبر النافذة والذي التمع على وجهها وملامحها الناعمة وعينيها الخضراوتين الواسعتين وترك بريقه على شعرها البني الفاتح المرفوع بتسريحة كلاسيكية.

لكنها بالكاد كانت ترى انعكاس صورتها هي

بل كانت ترى فقط صورة الرجل الواقف خلفها مباشرة. حين كان نيكولا في سنته العشرين كان بالغ الجاذبية والآن بعد مرور ثماني سنوات تحولت تلك الجاذبية الى فتنة وسحر رجولي طاغ، كان وجهه اكثر نحولا لكن هذا اظهر بوضوح اكبر جمال ملامحه اليونانية الكلاسيكية ذات البشرة السمراء البرونزية.

الآن اضحى وجهه مليئاً بالتناقضات، قسوة هائلة لكن ايضا جاذبية حسية طاغية في عينيه الباردتين وكثافة رموشه السوداء الطويلة.

كل ما استطاعت رؤيته كان شعره الداكن وشيء بارد، لا بل خطير يبرق داخل عينيه، وكل ما استطاعت الشعور به هو قوة جسده خلفها فيما يديه تمسكان بكتفيها بقسوة ودفء راحتيه تتسلل الى بشرتها عبر سترتها الحريرية الرقيقة، وكل ما استطاعت الاحساس به كان عطر الرجولي الدافيء لهذا الرجل الذي يحيط به كهالة من السحر، كانت تحس بوجوده بقوة درجة ان انفاسها كانت مكتومة بذعر داخلها.

قال وأنفاسه تداعب شعرها:«مرآة قديمة كهذه... مفروض بها ايضا كشف حقيقة من يقف أمامها. اتساءل يا ريبيكا ما الذي ترينه داخلك في العمق؟»

«أنا...» وشعرت بنفسها مسمرة بصوته وحدقت بعينيها اللتين تنظر اليهما عبر المرآة وللحظة فقط برق شيء ما في اللون الاخضر كأنه حصاة ترمى على سطح بحيرة ما.

انزل يديه على جانبيها ووصل بهما الى خصرها الرشيق.

قال برقة:«لقد فقدت الكثير من وزنك يا ريبيكا.»

قالت:«اجل، لكن ليس بالكثير.»

جاءت كلماتها واهية وهو يرفع يدها وينظر الى معصمها النحيل والعروق الزرقاء الظاهرة تحت بشرتها الرقيقة. ووضع ابهامه على نبضها الذي تسارع بشكل جنوني للحظات.

سحبت يدها من يده بسرعة وقالت:«على كل حال كنت مريضة. اصبت بالانفلونزا الشديدة الشتاء الماضي.»

«ولم تشفي كليامنها بعد؟»

«شفيت منها منذ فترة قصيرة فقط.» لكن صوتها بدا ضعيفا فجأة وكأنها ما زالت على سريرها في شقتها بلندن محاطة بالوسائد الوثيرة وتشرب كوب الحليب الساخن. وبما انها شعرت بالدوار الخفي الآن فقد تهالكت على اقرب كرسي منها.

قال:«اترغبين بكوب من العصير؟ لا بد ان هناك زجاجة ما في المطبخ.»

احمرت وجنتاها للنبرة الساخرة التي عادت لتبطن كلماته وقالت:«لا، شكرا لك. افضل الشاي.»

ابتسم باقتضاب وقال:«آه، اجل، لقد نسيت هوس البريطانيين بالشاي، الذي هو العلاج الناجح لأي مناسبة تسبب التوتر.»

جلست ريبيكا على الكرسي وعينيها شبه مغمضتين وهي تستمع الى الاصوات الصادرة من المطبخ، يبدو وكأنه في منزله، فكرت بامتعاض وتذكرت انه لم يشرح لها بعد سبب تواجده هنا في منزل جدها الذي اصبح الآن منزلها...

فور وضعه الصينية على الطاولة الخشبية المنخفضة سألته باختصار:«اكنت تأتي الى هنا غالبا لرؤية جدي؟ فأنت تبدو وكأنك تعرف كل شيء في المنزل.»

جاب:«كنت آتي الى هنا بالمناسبات اجل. لكني عرف كل شيء هنا الآن لأنني حاليا اعيش هنا. اتريدين الحليب مع الشاي؟»

اجابت بصوت منخفض:«اجل من فضلك.» حدقت به وهتفت:«أنت...؟» فتحت عينيها من الصدمة وهي تتابع:«انت تعيش هنا؟ اتقصد...

اتقصد انك المسؤول عن المنزل بغيابي؟» لكن مجرد فكرة ان يكون هذا الرجل مسؤولا عن شيء يخصها كانت فكرة غير معقولة... وان يكون موظفا عندها؟ هذا مستحيل.

كانت حينها لتدفع له اتعابه إضافة لأي مبلغ يدين جدها له به. كان شهر ايار (مايو) على وشك البدء لذا فبإمكانه ايجاد أي عمل آخر لأن موسم السياحة قد بدأ. لكن بأي حال عليه المغادرة والآن!

اخذت نفسا عميقاً وهدأت من روعها. فهي بالطبع لم تعد المراهقة الضعيفة ابنة الستة عشر ربيعا التي يسهل التأثير عليها والتي كما يبدو لا يزال يعتبرها كذلك. كانت الآن امرأة عصرية هادئة وذكية.

لكن رغم ذلك... رمته بنظرة سريعة وهو يقترب منها مقدما لها فنجان الشاي ورأت ميدالية ذهبية معلقة في رقبته. بالطبع هذه ميدالية كريستوفر الذهبية ذاتها.

كان قد اخبرها انها هدية ذكرى مولده للسنة الأولى. وتذكرت ذاك اليوم فيما كانا مستلقيان على الشاطىء في ظل اشجار النخيل ويغرزان اصابعها بالرمل الذهبي. فك هذه الميدالية للحظات كي يريها إياها ووعدها بشراء واحدة

مماثلة لها. لكن ذلك اليوم كان اليوم الأخير ولم تعد تراه من حينها...

اجل، عليه المغادرة بالتأكيد. فبعد كل شيء ما الذي سيقوله ريتشارد ان عرف انها احضرت معها، الى فيللا معزولة على بعد اميال من اقرب مكان سكن، رجلا يونانيا وسيماً؟ تناولت بسرعة فنجانها منه وهي ترمقه سرا بطرف عينها. تمدد على الكرسي الخشبي الكبير وبدا اكثر استرخاء وراحة منها مع انها في منزلها هي، كان يحمل كوب شراب كرز بين يديه... تلك اليدين الجميلتين القويتين...

قالت بجفاف:«يجب ان تخبرني بكم ادين لك؟»

رفع حاجبيه مرددا:«كم تدينين لي؟ بأي طريقة يا ريبيكا؟»

كان يضعها في موقف حرج مجدداً فقالت بصوت ارادته هادئا ومتزنا:«حسنا، اظنك كنت تعتني بالمنزل تبعا لتعليمات جدي، او لعل محاميه فكر بتوظيفك؟ في كلا الحالتين ان اعطيتني رقم حسابك المصرفي فسأتمكن من...»

قاطعها قائلا برقة:«آه. اظنك اسأت فهم الأمر. لكنه سوء تفاهم بسيط يمكن تصحيحه بسهولة».

وضعت فنجانها على الطاولة وسألت:«آه، حقا؟ وما هو سوء التفاهم ذاك؟»

اجابها بتهكم وثقة:«كما ترين يا ريبيكا. فيللا انجيليكا ملكي أنا.»
شهقت بذهول وقالت:«ما الذي تقوله؟ بالطبع هي ليست ملكا لك...» سكتت قليلا وحين لم يرد بشيء تابعت وهي تشدد على كل كلمة:«إن هذا منزل جدي بناه قبل ثلاثين سنة وحين توفي تركه لي، لحفيدته الوحيدة وهذا مذكور في وصيته.»
قال بصوت هادىء فجأة:«آسف لخيبة املك. لكن وصيته غير صالحة.»
رددت بدهشة:«غير صالحة؟»
اجاب بهدوء:«بالضبط.» شرب ما تبقى في كوبه ووضعه على الطاولة بحركة قوية متعمدة.
آن الوقت لوضعه عند حده. تناولت حقيبتها عن الارض وعبثت بمحتوياتها ثم اخرجت مغلفا أزرق. وقالت:«الوصية معي هنا وكذلك رسالة من محامي جدي. وهو يدعى السيد مايكل.»
مد يده البرونزية اليها وسأل:«هل لي النظر الى الورقة؟»
فتحت المغلف بصمت وناولته الوثائق.
«في الواقع، الوصية هذه نسخة عن الاصلية. ما زالت النسخة الاصلية مع السيد مايكل، لذا...»
تركت جملتها دون تكملة عمداً لكنه ابتسم بخبث

ابتسامة الثعلب الماكر. وقال:«إذن فلا جدوى من عناء تمزيقي لها؟»
ردت بجفافٍ:«شيء من هذا القبيل.»
نظر سريعا الى الاوراق ثم اليها. قال:«لكن اترين،لا حاجة لي لتمزيق هذه الوصية.» ورمى الاوراق بازدراء في حضنها.
سألته:«آه، ولماذا؟»
«لأنها لا تساوي الورقة المكتوبة عليها.»
«ماذا؟» هل هو مجنون ام انها هي المجنونة؟ «لا تكن بالغ...»
قاطعها قائلا:«لا فائدة يا ريبيكا. اخشى انه في هذه اللعبة بالذات...»
جاء دورها لمقاطعته بالقول:«لعبة؟ لا العب أي لعبة...»
تابع متجاهلاً مقاطعتها:«انا من يمسك بكل الاوراق الرابحة بما في ذلك ورقة الاص.» وتناول من جيبه ورقة ووضعها امامها على الطاولة فوق الوصية متابعا:«آص الكبة.»
حدقت بالورق بدهشة وغضب. تمالكت اعصابها وسألت:«حسنا، ماذا إذن؟»
«اقلبي الورق على الجهة الأخرى.»
فعلت ريبيكا ورأت كتابة باليونانية وتحتها ثلاثة توقيعات، احدها توقيع جدها ثم كان هناك

تاريخ محدد شهر شباط (فبراير) من السنة الفائتة،حدقت بذلك التوقيع والجمود يعتريها وحين رفعت نظرها وجدت نيكولا يحدق بها.
ناضلت لإبقاء صوتها خاليا من أي شعور وهي تسأل:«ما المكتوب هنا؟»
«انه يوافق على منح فيللا انجيلكا وبستان الزيتون المحيط بها والشاطىء امامها الى مايكل كيفين.»
«مايكل؟»
«أبير.»
هزت رأسها بذهول تام وقالت:«لكني لا افهم.»
رد قائلا:«ظننت هذا واضحا كفاية، والدي هو المالك الشرعي الآن لهذا المنزل.»
«ماذا؟!»
هتفت به وعيناها جاحظتان بذعر لكن حين واجهت التحدي الجلي في عينيه الداكنتين اشارت الى ورقة اللعب متابعة:«مع افتراضي ان المكتوب باليونانية هنا هو ما قلته فعلا... وطبعا لا سبيل لي لمعرفة ذلك الآن، أليس كذلك؟»
قطب حاجبيه بتهديد فسارعت لتتابع:«فلماذا هو مكتوب على ورقة اللعب هذه؟»
«لأن أص الكبة هذا بالذات هو الذي جعل والدي يفوز بالمنزل.»

«وما كان سبيله الى ذلك بالضبط؟»
اجابها:«اخبرتك انه وجيرالد كانا صديقين قديمين كانا يقضيان معظم الامسيات معا في المقهى يتحدثان، ويتسليان بلعب الورق. وبإحدى الامسيات اقترح جدك على ممتلكات كل منهما. فعلا، كان هو من اقترح ذلك وكان هو من خسر.»
مرت فترة صمت طويلة وهي تحدق به فاغرة فاهها. ثم قالت:«انا لا اصدقك.»
هز كتفيه بعدم اهتمام وأشار الى ورقة اللعب قائلا:«هاك الدليل.»
«بضع كلمات غير قانونية على جهة ورقة لعب؟»
«موقع عليها من قبل المالكين وهناك توقيع الشاهد على ذلك. وهو المدعو مايكل تريبو وهو زبون دائم في المقهى.»
«وهو احد رفاق والدك على الارجح.»
اجاب ببرود:«في الواقع هو كان صديقاً لجدك لا لأبي.» ثم تابع:«وهذه الورقة تحمل تاريخا يسبق تاريخ الوصية التي معك بستة أشهر.»
قالت:«يا لهذا الهراء.» وضحكت بازدراء واستخفاف، متمنية ان تبدو واثقة اكثر مما تشعر به حقا، وتابعت:«يجب ان احذرك، ان

اصريت على هذا الادعاء السخيف فسأضطر لمجابهتك في قاعات المحاكم.»
رد ببرود:«هذا شأنك، لكن لربمكا عليك معرفة هذا، صباح اليوم التالي عرض والدي على جدك نسيان الأمر برمته.»
قالت بارتياح:«آه، لا بأس، بتلك الحالة لا مشكلة إذن.»
«لكن جدك تابع تصرفه كرجل نبيل يلتزم بكلمته ورفض عرض ابي، وبهذه الحالة، انا لست والدي.»
شعرت بالارض تميد تحتها مجدداً وجاهدت للحفاظ على رباطةٍ جأشها وهي تسأله:«وما علاقة هذا بك اصلا؟ سيأذهب لرؤية والدك في الصباح. يبدو اقل عناداً من ابنه.»
رأت قبضته تتكور في حضنه والقساوة تظهر على وجهه، لكن كل ما قاله كان:«انتقل والدي الى اثينا بسبب صحة والدتي المتوعكة وقد تركني كمسؤول في سكاثيوس.»
تمتمت بتهكم:«للأسف.»
لكنه تعمد تجاهل قولها.
«رغم هذا الاتفاق ظل الاثنان صديقين وأصر والدي على ضرورة بقاء جيرالد في المنزل طيلة حياته. الشيء الوحيد الذي وعد به جدك بالمقابل

هو تغيير وصيته وهذا وعد من الواضح لم يكن ينوي الوفاء به.»
اشتد غضب ريبيكا وقالت:«لو كان قد اعطى ذاك الوعد فعلا لالتزم به. وان كان لم يفعل بالارجح انه فعل لإدراكه انه تم خداعه بالايقاع به مع والدك المخادع.»
شهقت برعب حين نهض نيكولا عن كرسيه بغضب لسماعه شتمها لوالده، ووجدت نفسها رغم ذعرها تحدق بصدره الذي يعلو ويهبط بقوة مظهرا قوة عضلاته.
«ريبيكا.»
لم يحاول الاقتراب منها او لمسها لكنها تراجعت بسبب قوة نبرة صوته وحدتها. للحظة اجبرت نفسها على النظر اليه لكنها عادت لتركز بصرها على الميدالية الذهبية حول عنقه.
«أجل.»
«عادة لا اعطي الناس فرصة ثانية... لكنكِ مجنونة، غريبة وقد اصبحت امرأة... نوعا ما.» وشعرت بنظره ينتقل بازدراء من رأسها حتى بذلتها الرسمية حتى حذائها ذي الكعب المنخفض وتابع:«لكن ان حاولت تلطيخ شرف عائلتي مجددا، فسوف...»
قاطعته بصوت حاولت جعله عنيفاً لكنها لم

تنجح:«ستطردني من الجزيرة مغلفة بالعار على الا اعود اليها ابدا ثانية؟»
قال:«لا.» ورفع ذقنها إليه لتواجهه وأصابعه على بشرتها:«بل سأعاقبك بنفسي.»
حدقت في عينيه والغضب الجامح يلتحم مع الخوف داخلها. لم يرفع صوته بها ولا مرة واحدة وكل السلاح الذي يملكه مجرد ورقة لعب قديمة لكنها رغم ذلك تشعر بسيطرتها على الوضع تتبخر دون عودة. لكنها لن تسمح له بإخافتها.
قالت بتحدي:«اتطلع بشوق لذلك.» رمته بنظرة متحدية وتأوهت بداخلها لأن اصابعه انغرزت في ذقنها للحظة. لكنه فجأة تركها واتكأ الى الحائط واضعا يديه في جيبه وكأنه يمنعهما من القيام بشيء آخر.
ظلت ريبيكا جالسة مكانها للحظات وأصابعها تطرق بصمت على خشب كرسيها. اخيرا قطعت حبل هذا الصمت الثقيل وقالت:«هناك طريقة واحدة لتسوية هذه المسألة سأعود إلى بلدة سكايثوس لمقابلة السيد مايكل الآن فورا.»
تناولت حقيبتها الجلدية ونهضت.
اوقفها بقوله:«لكن بالطبع سنذهب إليه، لكن ليس هذه الأمسية.»
نظر الى ساعة معصمها متابعاً:«سنراه

غداً،آسف لتكبدك عناء السفر الى هنا دون جدوى.»
اجابت قائلة:«لا على الاطلاق. اخشى انك انت من سيصاب بخيبة أمل.»
سألها:«اتعتقدين ذلك؟» وهو يبتسم بخفة ثم اضاف بصراحة وكأنه سئم من الموضوع:«كيف وصلت الى هنا؟ استأجرت سيارة؟»
«لا، بل اتيت بسيارة اجرة من المطار الى هنا.»
«لم ارها...»
كانت نبرة صوته مغيظة بتعمد، لكنها تجاهلت التقاط هذا الطعم وردت ببرود:«في الواقع لم يرغب سائق السيارة بالتعرض للمشاكل لابتعاده عن خط سيره المحدد على الطريق العام.»
مع ان نيكولا كان محقا في الواقع. فهي ارادت ان تسير بمفردها عبر بساتين الزيتون التابعة للفيلا، لتعيش مجددا اللحظات الساحرة لآخر صيف قضته هنا،لكن هذا الـ نيكولا البالغ القسوة والبرودة لن يفهم ذلك ابدا.
قال:«فهمت.» وهو يتفحصها بنظرة للحظات متابعاً:«اخشى ان جيرالد رفض بعناد وضع هاتفا في منزله، لذا سأنزل الى القرية لأطلب لك سيارة أجرة.»

سألته بجفاف:«لماذا؟»
«سترغبين بإيجاد غرفة في بلدة سكايثوس لقضاء الليلة او لإيجاد غرفة شاغرة في فندق ما، هناك العديد من الفنادق الجيدة على الساحل الجنوبي.»
التقت نظراتهما وتشابكت للحظة طويلة مشحونة.
ثم ومن دون التفوه بكلمة اخرى نهضت ريبيكا بتعمد وغادرت الغرفة الى الشرفة ثم نزلت درجات السلالم متجهة الى حيث تركت حقيبة ملابسها.
فيما هي ترفع الحقيبة عاد صوت جدها ليتردد في اذنيها وهو يقول:
آه، حبيبتي لا تقللي من قيمة نفسك بتبادل الكلمات النابية مع فلاح دون مبادىء. وغمرتها رغبة جامحة للهرب من هذا المكان، لكن حين استدارت ورأت نيكولا ينظر إليها بعينيه الساحرتين ومتكئا الى باب المنزل عاد الغضب ليجتاحها.
انه بالغ الثقة بنفسه لدرجة الغرور. أليس كذلك؟» امسكت بحقيبتها بقوة وسارت صاعدة الدرجات مجدداً.
قالت بثقة:«عذراً من فضلك.»
لكن عوض الابتعاد عن طريقها بأدب وضع ذراعه

على الباب مانعاً إياها من الدخول وسأل:«ما الذي تعتقدينه انك فاعله؟»
«لا أعرف الكثير عن القوانين اليونانية، لديكم قوانين هنا بالطبع، اليس كذلك؟» تكلمت بعذوبة لكن بعد نظرة واحدة الى عدائية نظرته الجليدية عادت ببصرها الى حقيبتها وتابعت:«لكن في انكلترا التملك تسعة اعشار القانون، آسفة لكن لا نية اطلاقا بالهروب، والاستسلام تاركة لك العشر الباقي، لذا فسأبقى.» وضربت ساقه بحقيبتها.
نظر الى الحقيبة للحظات ثم استقام قائلاً:«لا بأس، بإمكانك ان تكوني ضيفتي.»
«لست ضيفتك...»
«وسأرشدك الى غرفتك.»
أجابته بغضب:«شكراً جزيلاً، لكن لا داع لذلك. فأنا اعرف الطريق اليها.»
شدت على حقيبتها اكثر وعبرت غرفة الجلوس ومنها الى الممر الذي يؤدي الى غرفتها القديمة، الغرفة التي بناها جدها لها خصيصاً بشكل فوضوي كبقية الزيادات في هذا المنزل.
فتحت باب الغرفة ثم تجمدت مكانها وبنظرة رعب لاحظت وجود محتل فيها... كان على السرير قميصا ابيض اللون وبنطال جينز معلق

على الكرسي المجاور للسرير وحذاء رياضي أبيض قربه.

سمعت خلفها تعليق نيكولا المتكاسل:«يا للروعة. لم ادرك انك بانتقالك الى منزلي ستشاركيني سريري ايضا.»

تأوهت بداخلها فبسبب اضطرابها فتحت باب الغرفة التي الى اليمين بدل باب غرفتها التي الى اليسار، رفعت حقيبتها مجددا واستدارت غاضبة والأحمر القاني يلون وجنتيها.

قالت بغيظ عبر اسنانها المصطكة بارتباك:«آسفة، هذه غلطتي.» ودفعته بعيدا قبل ان تفتح باب غرفتها الحقيقية.

اجل، هذه هي غرفتها. كما تذكرها تماما، وكأن جدها احتفظ بها نظيفة ومرتبة من أجلها. متوقعا وصولها بأي لحظة.

شعرت بغصة بسيطة في حلقها وهي تنظر حولها الى السرير الصغير، خزانة الادراج الصغيرة قربه والتي صنعها كريستوس، نجار القرية خصيصا لها ولونها بالزهري والورود البيضاء الصغيرة، الى الارض الخشبية المصقولة المغطاة بوسطها بالسجادة الصينية الملونة القديمة التي بهتت ألوانها بعض الشيء والذي احضرها جدها معه من الصين قبل سنوات وسنوات. كل

شيء كان على حاله باستثناء ان احدهم قد وضع بأحد زوايا الغرفة عدة لوحات زيتية لم تكتمل بعد.

قال:«آسف بهذا الشأن، سأنقل اللوحات فورا.»

سألته بسرعة دون تفكير:«إذن لا زلت ترسم؟»

اجاب قائلا:«بالطبع. اخبرتك انني اريد ان اصبح رساما قبل ثماني سنوات، أليس كذلك؟»

كان هذا السؤال اول ما تفوه به احدهما بالعودة الى الماضي، ازدادت زرقة عينيه لتلك الذكرى ثم خفض نظره وكأنه عاجز عن الاحتفاظ بنظرته المتحدية. ولاحظت كاثريت انتفاض عرق رقبته بقوة... رغم النسيم العليل الذي كان يتسلل من النافذة المفتوحة الا انها كادت تشعر بالاختناق.

فرمت حقيبتها على السرير وقالت دون ان تنظر إليه:

«ان كنت لا تمانع ارغب بتنشق بعض الهواء المنعش.»

سأل:«هل أكلت؟» دون ان يتحرك من مكانه عن الباب، مانعا إياها من مغادرة الغرفة.

«تناولت العشاء في الطائرة.»

سأل بملل ونفاد صبر:«قلت هل أكلت؟»

اجابت:«كان الطعام جيدا بالفعل.» واستطاعت

ان تجبر نفسها على تجاهل رجفة احست بها.
قال بنبرة آمرة لا دعوة:«ستنضمين إليّ لتناول العشاء.»
ردت بصرامة:«شكراً لك، لكني لن افعل، سأنزل الى المقهى. والآن عن اذنك.»
تنحى مقدار نصف انش فقط وتلامست ذراعيهما وهي تمر قربه مغادرة الغرفة.
شعرت وكأن نيرانا لاهبة لسعت ذراعها ودون ان تنظر إليه تابعت سيرها وغادرت المنزل، احست بذراعها لا تزال تحترق، لكنها لم تتوقف لتمسيدها الا بعد ان ابتعدت عن المنزل الذي اصبح خارج مجال الرؤية.

الفصل الثاني

كانت ريبيكا قد قطعت نصف الطريق المنحدر قبل ان تخفف من سرعة خطواتها وتتوقف لترتاح قليلا تحت ظل شجرة صنوبر وهي تبتسم، انها ناضجة الآن، امرأة عصرية ذات عمل مسؤول، لكنها رغم ذلك وامام نيكولا كيفين بالذات ما زالت كما كانت طيلة ذلك الصيف الأخير مجرد فتاة مراهقة ترتجف على حافة شيء تجهله وتخشاه بشدة.
لا شك ان السبب بشعورها المشوش هذا الآن هو تعب السفر إضافة لتبدل الطقس بين الربيع الانكليزي البارد، والربيع اليوناني الدافىء وأيضا هناك صدمة الطعن بوصية جدها.
اقنعت نفسها ان لا علاقة لنيكولا بهذا الشعور اطلاقا وتابعت طريقها بعد ذلك.
لكنها توقفت بعد قليل وعلت ابتسامة الدهشة ملامحها. فأمامها كانت تمتد الأرض المزروعة بأشجار الزيتون والتي تعود لجدها. كانت الاشجار قديمة وجذوعها رمادية وضخمة لكن كانت الحشائش الخضراء اسفلها تموج بأزهار السوسن الصفراء والبيضاء، وكانت الأزهار

المتنوعة والمختلفة الألوان تزين كل الارض مانحة المنظر روعة قل مثيلها.
في المرة السابقة لم يكن لهذا الجمال البسيط الفاتن من وجود، لكن في المرة الأخيرة التي كانت فيها هنا كان الصيف في آخره وتذكرت ريبيكا صف اشجار الصنوبر على طرف هذه الأرض البعيد الذي يفصل بينها وبين بحر إيجه الأزرق الرائع.
الآن الصوت الوحيد الذي كانت تسمعه كان صوت الرياح بين اغصان الزيتون وصوت الامواج الآتية من البعيد. شعرت فجأة بالدموع تترقرق في عينيها. هل كان ريتشارد على حق؟ سألت نفسها وهي تعض شفتها السفلى، ام ان على هكذا جمال أن يبقى على حاله الى الأبد؟ كان ليقول لها الآن، يا عزيزتي انت تتصرفين بعاطفة جياشة. وكان ليهز رأسه وتلك الابتسامة الصغيرة تعلو وجهه...
كان الشاطىء كما تذكره تماماً، اشجار الصنوبر على طرف والصخور الشاهقة على الطرف الآخر. ومع ان الشمس قد غابت تقريبا لكن الرمال ما زالت تحتفظ بحرارة النهار التي تسللت إليها، فهي كانت تضع الكثير من الملابس عليها وفكرت بامتعاض انه هو السبب

بهذا فيما كانت تخلع السترة عن كتفيها. كان عليها الابتعاد عنه بأقصى سرعة، لذا فهي لم تجد الوقت لتبديل ملابسها.
في هذه اللحظة شعرت ريبيكا انها لم تعد قادرة على تحمل ملابسها فخلعت حذائها ونظرت حولها وحين لم تجد احدا خلعت سترتها وبقيت بالبلوزة الخفيفة التي بلا اكمام ثم اتجهت نحو الماء. كان هذا الشاطىء خاصاً لا يرتاده احد ولا يقترب الصيادون منه وأحيانا في الصيف كان يصل إليه قارب فيه بعض الشبان من السواح وكان جدها يطالبهم بالمغادرة حين يزداد ضجيجهم مما يمنعه من الكتابة.
كانت المياه باردة ومنعشة وشعرت ريبيكا بروعة المكان تلفها بأكملها. هنا قابلت نيكولا للمرة الأولى وحينها بدأت تلك الأيام الساحرة.
توقفت عن السباحة وخرجت من البحر عندما ادركت ان احدهم يراقبها من مكان قرب اشجار الصنوبر.
وفيما تعثرت خطاها قليلاً على الرمال اقترب هو منها ببطء ووقف امامها بصمت وهو يحدق بها، مرت لحظات قبل ان يعرفها بإسمه، اخبرته اسمها ومدت يدها اليه لتصافحه...
الآن ظهر القمر الفضي وسط السماء فأدركت

ان عليها العودة، بتردد استدارت ولمحت قرب الاشجار شيئا ابيض اللون، وبعد لحظة سريعة ادركت ان ذاك الشيء الابيض هو نيكولا بقميصه الابيض.

تماما مثلما حصل في الماضي، كان يراقبها لكنه لم يتقدم منها. لكن شيئا ما جعلها ترتعش قليلا ثم وكأنها في حلم وجدت نفسها تسير إليه ببطء، وكأنها تسير في نومها دون ان ترفع نظرها عنه.

حين وصلت إليه توقفت على بعد خطوة منه، كان وجهه في ظل الاشجار ولم تكن تعابيره واضحة، ثم وببطء شديد رفع يديه وأمسك بكتفيها. ملمس راحتيه كان دافئا على بشرتها فسارت الى احضانه وكأنها تستيقظ من نوم دام لقرون.

حين رفعت وجهها إليه كانت انفاسه دافئة على بشرتها. كانت قبلته رقيقة، خفيفة وبطيئة لكنها كانت مثيرة جدا وشعرت بنبضات قلبها تتسارع بجنون وأحست بنفسها تتجاوب معه بكل ذرة في كيانها.

حين تأوهت بعمق وحركت كتفيها تحت راحتيه لم يتغير طابع تلك القبلة الغريبة، وكأنه يسألها سؤالا صامتا، كانت شفتيها وكل كيانها يجيبه

بالايجاب، اجل، اجل...ارتعشت قليلاً فيما عينيها كانتا شبه مغمضتين ثم فتحتهما، ما الذي تفعله؟ أي جنون يسيطر عليها؟

انتزعت نفسها بعيدا عنه ووضعت يدها على وجهها لتمسح قبلته ولتعود الى الواقع. لم يسبق لها ان شعرت بهكذا ردة فعل من قبل، لم تشعر بهكذا رغبة ابدا حين كان يقبلها ريتشارد. ستشعر بهذا بعد الزواج بالتأكيد وهذا ما رددته لنفسها الف مرة، ستشعر بهذا مع زوجها فقط مع الرجل الذي تحب.

اخيرا تناولت حذاءها وسارت عبر الظلام نحو اشجار الصنوبر.

لحق بها في بستان الزيتون وسمعته يقول:«اهدأي وإلا تعثرت.» كان صوته هادئا لكنها شعرت بصدى شيء آخر في صوته، صدى جاذبية ساحقة اخافتها.

«لا.»

لكنه امسك بمعصمها بقوة منعتها من الافلات وأجبرتها على السير ببطء قربه، رطبت شفتيها المرتعشة وقالت:«الازهار جميلة، لم يسبق لي رؤيتها.»

قال بلهجة يشوبها بعض الحزن:«حسناً أذكر انه كان الوقت صيفا حين كنت هنا آخر مرة.»

تلك الايام البريئة الرائعة الساحرة وتلك الامسيات، حين كان جدها ينزل الى المقهى، حين كانت تسبح هي ونيكولا ويبنيان القلاع الرملية ويلعبان التنس بقطعة خشب دائرية ثم يذهبان بنزهة على دراجته النارية القديمة حيث كانت تتمسك به وهو يقودالدراجة بسرعة على المنحدر.

تلك هي البراءة بحد ذاتها... كان يقبلها بعض الأحيان، لكنها كانت قبلا عادية على جبينها فيما هما ينزلقان على لوح التزلج المائي وذراعه حول كتفيها... باستثناء تلك الامسية الأخيرة... تحت ظل اشجار الصنوبر كانت تفرك انفه بالحشائش فيما هو نائما وذراعيه تحت رأسه، فجأة فتح عينيه وحدق بها بقوة كأنه يراها للمرة الأولى. ثم نهض وأمسك بوجهها وببطء اخذ يقبلها... كانت القبلة رقيقة في البداية إلا انها ما لبثت ان ازدادت حرارة وعمقا، للحظة تعلقت به مستمتعة بما يجري لكن حين اشتدت قبضته حولها ابتعدت عنه وهي تشهق.

لم يأت في اليوم التالي ولا الذي يليه مع انه تركها مودعا بقوله:«اراك لاحقا.» بالنسبة إليه كانت تلك الفترة مجرد فترة لهو مع فتاة انكليزية ساذجة. لا شك انه في ذلك الحين انغرق في

مشاكل مجهولة بالنسبة إليها ونسي كل شيء عنها...

انزعجت من هذه الذكريات ولإبعاد فكرها عنها قالت ببرود:«اجل، بالطبع، كان عليّ معرفة ذلك فالأزهار كلها تذبل وتختفي قبل نهاية الصيف.»

توقفت للحظة وأخذت نفساً عميقاً قبل ان تتابع:«ما هذه الرائحة العطرة؟»

الزعتر البري.» ترك يدها وانحنى في الظلام عابثاً بين أزهار البنفسج. حين استقام امسك بيدها ثانية وقال:«تفضلي.»

شعرت بالنباتات بين يديها فرفعتها الى انفها وتنشقت عطرها.

قال لها:«عليك سحق الأزهار لاطلاق الرائحة.» وضغط اصابعه على اصابعها الممسكة بالأزهار لتصلها الرائحة الجميلة.

قالت بتلعثم:«انها رائعة، شكراً لك.» وأصابعها ما زالت حارة جراء ملامسة اصابعه.

بالنسبة لي انها رائحة اليونان، لو رميت على سفح أي من التلال القريبة ووضعت غلالة على عيني وشممت وتنشقت هذه الرائحة، لعرفت انني وصلت الى منزلي.» شبك اصابعه باصابعها وقادها عبر الممر فيما هي بالكاد

ترى امامها. كان قد اضاء بعض الشمع على الشرفة ووضعها داخل المصابيح على الطاولة المعدة لتناول العشاء وشعرت بالغضب يتحرك بداخلها طاردا موجات العاطفة التي كانت متعلقة بها كالضباب الخفي.

قالت بصرامة:«اخبرتك انني سأتناول العشاء في المقهى.»

مد يديه امامه قائلاً:«لكن ياعزيزتي، لا يفتح المقهى بمثل هذا الوقت الباكر من الربيع وأكره ان تقومي برحلة اخرى من دون أي جدوى.»

«حسنا، في الواقع انا لا اشعر بالجوع.»

قالت ذلك وهي تشعر بالاختناق لفكرة تناول العشاء معه على ضوء الشموع.

قال:«ريبيكا.» وأدارها كي تواجهه متابعاً:«لقد اعددت الطعام وستتناولينه.»

«اخبرتك انني لست...»

قاطع كلامها قائلا:«ان شئت سأترك لك حرية اختيار المواضيع التي سنتحدث بها، ان كان هذا يشعرك بالأمان اكثر وانت معي.»

قالت كاذبة:«اشعر بالأمان الكامل معك.»

«هذا مؤكد.» تابع بصوت خفيض، لكنها ادركت انه كان يعرف الحقيقة:«لذا من فضلك اجلسي.»

قالت:«علي تبديل ملابسي، انظر.» ومدت قدمها المليئة بالرمال.

نظر الى قدمها العارية بتعبير غريب ثم قال وعينيه ما زالتا مسمرتين على قدميها:«لا داعي لتبديل ملابسك. تبدين فاتنة.» سحب كرسياً وفيما كانت تجلس عليه اضاف:«لكن هناك امرا واحدا...»

وقبل ان تتمكن من الاعتراض أزال ربطة الشعر التي كانت تربط بها شعرها الى اعلى رأسها وانسدل شعرها الكثيف على كتفيها.

سألت بغضب:«لماذا فعلت ذلك؟» وهي تعيد شعرها الى ما خلف اذنيها.

لأنني افضل رؤية شعرك هكذا.»

فيما كانت تبحث عن شيء ما ترفع به شعرها توارى داخل المنزل للحظات ثم عاد حاملاً صينية كبيرة وضع عليها طبق سلطة يونانية ضخم وآخر يحوي لحوما مبردة مع رغيف خبز محلي وزجاجة مياه معدنية وكوبين وضع كل ذلك على الطاولة قبل ان يجلس على الكرسي امامها.

قال وهو يسكب المياه في كوبها:«والآن عم ترغبين ان تتكلمي يا ريبيكا؟»

قالت بانزعاج:«ماذا عن... متى ستغادر منزلي؟»

«آه، ارجوك.» ووضع يده على قلبه بحركة يونانية بحتة وتابع:«سبق وأنهينا مناقشة هذا الموضوع. باستثناء نقطة واحدة ربما وهي كم تخططين للبقاء هنا؟»

«اخذت عطلة لمدة اسبوعين وهذه مدة كافية كما اظن لمعالجة هذه المسألة كليا.»

«عطلة؟»

«اعمل في لندن في مصرف مشهور.»

«حقا؟ وما هو عملك فيه بالضبط؟»

«اصبحت مساعدة مدير الحسابات منذ فترة قصيرة فقط.»

«تهانينا.»

«شكرا، يقول ريتشارد ان...»

«آه، اجل، ريتشارد الغالي.»

كانت يدها اليمنى على الطاولة فأمسك نيكولا بها ورفعها محدقا بالخاتم الالماسي في اصبعها. رغم تصميمها على عدم اظهار أي ردة فعل الا انها ارتعشت رغما عنها فنظر الى وجهها وترك يدها.

«اخبريني عن ريتشارد.»

«انه يعمل في المصرف ايضاً، هكذا التقينا.»

«آه، فهمت. اذن كلاكما يعمل في وظيفة محترمة.»

ردت فوراً:«اجل. وما العيب بذلك؟ دعني اخبرك شيئاً هذا العمل افضل من التسكع دون عمل بقية حياتك.»

نظر إليها ورأت بريق السخرية في اعماق عينيه فتابعت بجفاف:«آسفة، لا شأن لي بذلك. لكنك كنت تحاول اغاظتي اعرف ذلك. وريتشارد... شخص جيد.»

«اجل، طبعا، اذكر ان جيرالد اخبرني عنه.»

نظرت إليه لفهم مقصده لكنها لم تعرف شيئاً، لقد جاء جدها الى انكلترا قبل حوالي سنة لمتابعة علاجه الطبي، وقد سعدت كثيرا برؤيته حينها لكنها ادركت رغم عدم تفوهه بشيء انه كان ممتعضا من مجال عملها، كما وانها ادركت رغم أدبه الشديد اثناء وجود ريتشارد معهما انه لم يعجب اطلاقا بالرجل الذي اختارته ليكون زوجا لها، وقد آلمها ذلك بشدة والآن معرفتها باطلاعه نيكولا على ذلك آلمها اكثر فأكثر.

«استلم ريتشارد فرع المصرف خاصته منذ ذلك الحين وهو من اصغر المدراء في تاريخ المصرف.»

ادركت انها كانت تثرثر لكنها ارادت بيأس متابعة التحدث عن ريتشارد وكأن ذلك سيبقيه مكانه خلف ضوء الشموع، فتابعت:«كنا نعمل

في فرع المصرف ذاته لكنه اقترح علي الانتقال فهو يفضل عدم عمل الرجل وزوجته في المكان ذاته.»

برقت عيناه للحظة تحت ضوء الشموع فأدركت انه عرف هدفها من تغيير الموضوع. اجابها دون اهتمام:«فهمت.»

«هل تابعت أي دراسة اكاديمية؟ اذكر انك...»

صمتت فجأة ثم تابعت:«كنت تتحدث عن الالتحاق بمدرسة رسم.»

«اتممت دراستي في اثينا، اجل.»

«ومن يشتري لوحاتك؟»

«السكان المحليون وفي الصيف ابيعها للسياح الاثرياء الذين يستخدمون المرفأ لرسو قواربهم.»

«أي نوع من اللوحات ترسم؟»

هز كتفيه وكأنه تعب من كل الموضوع وقال:«مناظر طبيعية على الاغلب، وارسم الناس حين يطلب مني ذلك فقط.»

«الناس؟ اجل، انا...» صمتت فجأة وهي تشعر بارتباك اكبر وتابعت:«ومناظر طبيعية، تقصد مناظر طبيعية محلية؟»

«احيانا.»

قالت:«فهمت.» وفكرت بإقناع ريتشارد بشراء

بعض لوحات تحمل مناظر سكايثوس لوضعها في منزلهما الجديد، مع ان فكرة وجود شيء من نيكولا في منزلهما كانت تزعجها، لكنها قد تفعل ان كان بحاجة للمال...

سألته بلباقة:«وهل انت... ناجح؟»

لسبب ما ابتسم مظهرا اسنانه البيضاء البراقة وقال:«انا ما زلت على قيد الحياة.»

انحنى الى الامام وقطع الخبز ثم وضع عليه الزبدة والمربى وناولها إياه قائلا:«اخبريني يا بيبيكا وسؤالي بدافع الفضول فقط بالطبع، لنفترض انني لم اكن املك فيلا إنجيلكا...»

قاطعته قائلة: وانت لا تملكها فعلا.»

فما كانت مخططاتك لهذا المكان؟»

ترددت قائلة:«حسنا...»

أكنت ستأتين للعيش هنا على الجزيرة؟»

بالطبع لا، كيف لي ان افعل ذلك؟»

إذن كنت ستستخدمينها لقضاء العطلة فقط؟»

ردت:«ليس تماما.» وشعرت فجأة بالتردد امام خراته الحادة.

لكن ما الفائدة؟ ما دخله هو في هذا؟ فكرت لك وتابعت بصوت عادي: «في الواقع أنوي ا وريتشارد تحويل المكان الى استثمار سياحي.»

«حقاً؟» ثم اضاف:«اخبريني عن ذلك.»
«لا شيء بالغ الفخامة بالطبع. فأنا لا ارغب بإفساد المكان وتبديله كليا.»
وافقها بنعومة فائقة:«بالطبع انت لن تفعلي.» لكن حين نظرت إليه كانت ملامحه صفحة بيضاء لا تعكس شيئا مما يجول بداخله.
فقالت:«لكن ريتشارد يعتقد... اقصد نحن معاً نعتقد ان التخطيط الدقيق غير المتكلف هو الافضل. لذا سنبني بعض الاكواخ الصغيرة، وحوض سباحة وملعب تنس...»
قاطعها بسؤاله:«وأين كنتم تنوون بناء ذلك؟»
«فكرت في تلك المساحة عند بستان الزيتون.»
«وسط بستان الازهار؟»
«أجل، لكني شاهدت الأزهار الآن ومن الواضح انني سأغير الموقع.»
لم يعلق على اقتراحها لكنها شعرت بنفسها تنحصر في زاوية الدفاع عن النفس مجددا ولم يعجبها ذلك، فتابعت:«لسنا ماديين، سيكون كل شيء مرهف الذوق. لدى ريتشارد صديق...»
قاطعها مجددا:«صديق؟ انت تذهلينني.»
اشتدت اصابعها على كوبها لكنها قاومت انفجار غضبها وقالت بصوت بارد:«لدى ريتشارد صديق يعمل في مجال تطوير المنشآت السياحية وهو...»

وفر عليها ما كانت ستشرحه وقال:«سيكون شريكا بالوقت والعمل وأنتم بالمال والأرض؟»
«اجل، لكن كل شيء سيتم وفقا للمستوى الممتاز، لن يكون هناك من يطوف في شوارع سكايثوس بحثا عن الزبائن او ما شابه. لقد اصريت... اقصد لقد اتفقنا على ذلك الأمر.»
«لقد ارحت تفكيري.»
قالت:«يسرني ذلك.» ثم رفعت نظرها إليه وتابعت:«انظر، من الواضح انك لا توافق على خططنا، ليس هذا من شأنك، لكن هل اذكرك بأن هذا سيؤمن من فرص العمل لكثير من المواطنين المحليين هنا؟»
قال بصوت بارد:«ربما ضمن موسم السياحة القصير فقط.» ثم تابع بصوت ناري:«فيما كل المال الحقيقي يسحب الى لندن الى جيوب ريتشارد وصديقه. اتعرفين يا ريبيكا... لقد تغيرت، لقد اصبحت امرأة يملؤها الطمع والشر.»
مزقتها كلماته كالخنجر السام فصاحت بقوة:«اجل، بالطبع تغيرت، انا اكبر بثماني سنوات الآن والمشكلة انت يا نيكولا، انك لم تتغير ولن تتغير ابدا، ستقضي كل حياتك مستلقيا تحت اشعة الشمس، بائعا لوحاتك

كلما استطعت للسياح الذين يملكون مالاً اكثر مما يملكون عقلا.»

قال وكأنه لم يسمع كلمة مما قالت:«كما وانك تحولت الى مترمتة صغيرة متمسكة برأيها الخاطىء. كان جيرالد محقا بقلقه عليك...»

تأوهت قائلة:«حسنا لم يكن من داع له لذلك اؤكد لك هذا.»

قال:«حتى انه كان يخشى من ان تصبحي نسخة مكررة عن والديك.»

سألته بحدة:«آه، حقا؟ وما ضير ذلك؟»

«الكثير، تبعا لجدك، لقد خاب ظنه بشدة بهما، كان يعتبرهما ضيقا الأفق وباردا الأحاسيس.»

«وهل خطر ببال جدي يوما ان تزمت والدي هو رد فعل لنمط حياة والده عديم المسؤولية؟»

«اجل بالطبع مع ان ذلك لم يسهل على جدك تقبل الأمر، هل يحب والداك خطيبك؟»

حدقت به للحظات ثم توتر فمها وهي تقول: «بالطبع يفعلان، انهما معجبان جداً بريتشارد.»

قال باستخفاف:«لا شك انه حين اطلعتهما على نبأ خطوبتك اخذك والدك جانبا قائلاً، عزيزتي ريبيكا هذا شاب سيصل الى قمة النجاح، لقد احسنت الاختيار.»

قالت وهي ترفع ذقنها بعناد:«ليس هذا ما قاله بالضبط.»

فقال:«هذا المشروع السياحي هو فكرة خطيبك الغالي. أليس كذلك؟»

ردت بعنف:«لا، بالطبع لا.» لكن نظرة الذنب في عينيها، فضحت كذبتها.

«هذا المكان... الا يعني لك شيئاً اطلاقاً؟»

ردت بصوت مبحوح:«بالطبع يعني لي الكثير.» كيف يمكن له ان يطرح هكذا سؤال؟ انه المكان الذي وقعت فيه بيأس وألم في الحب لأول مرة في حياتها. هيام مراهقة، عطل رومانسية، بوسعها رؤية ذلك الآن وبالطبع هو بدوره يعرف ذلك!

في هذه الايام هي تتباهى بقدرتها على إخفاء عواطفها ومشاعرها، لكن حينها كان وجهها مرآة واضحة للحب الجارف الذي تكنه لليوناني الشاب الوسيم.

كررت ثانية وبقوة:«بالطبع يعني لي الكثير، فذكرى الماضي بأكمله يكمن هنا، لكنك بالطبع ترى...»

قاطعها قائلاً بصوت غاضب:«لا، بل انت بالطبع ترين ان أي تطوير مهما كان مرهف الذوق كما تقولين سيدمر تلك الذكرى للأبد.»

جرع كل ما في كوبه ثم تابع:«هل تتوقعين مني

تسليم هذا المكان الجميل لخطيبك الغالي الشرير والطماع كي يفسده؟»

قالت:«انظر...»وقد تعكر مزاجها بدورها:«سمعت ما فيهِ الكفاية عن هذا الموضوع. ريتشارد ليس شريراً، انت لا تعرفه ولا تعرف والداي و...»

«ولا رغبة لدي اطلاقا بالتعرف عليهم نظرا لما أراه بك من تغيير بسببهم.»

قالت:«احتفظ بآرائك لنفسك.» تابعت وهي تبعد شعرها الأشقر عن وجهها المتضرج احمرارا:«وللمرة الألف اقول لك ان هذا المنزل منزلي وأنا حرة بفعل ما اشاء به.»

ابتسم وقال:«كلا يا عزيزتي. دعيني اقول لك هذا. لا شيء مما سبق وفعلته في حياتي سيمنحني مقدار الرضى الذي سأناله من منعك وريتشارد هذا من الاستيلاء على هذه الفيلا.»

اجابت بسرعةٍ:«اعرف ان هذا سيرضيك. فأنت لم تعمل يوما في حياتك كلها وقد سقط هذا المكان في حضنك كالخوخة الناضجة وانت لن تتخلى عنه دون قتال.»

«صدقت بهذا.»

«لا بأس. سنرى ما سيقوله السيد مايكل المحامي غدا، فكر في ذلك قبل ان تعتبر المكان ملكك.»

نهضت بغضب فسألها بحدة:«الى اين تذهبين؟»

«الى غرفتي. فالرفقة هذه لا تهمني.»

«الشعور متبادل، اؤكد لك ذلك.» وسمعت صراخه بالكلمات الاخيرة هذه حتى وصولها الى غرفتها وأغلاق الباب خلفها.

www.liilas.com

الفصل الثالث

استيقظت ريبيكا مرة واحدة في الليل. فظلت مستلقية على ظهرها محدقة بالنافذة حيث يتسلل نور القمر الفضي الى الداخل.
في الخارج كانت اوراق اشجار الزيتون تصدر حفيفا رقيقا يتخلله صوت الامواج القريبة على الشاطىء. كان الصوت يبعث على النوم فأغمضت ريبيكا عينيها ثانية وهي تسمع هذه الاصوات...
حين استيقظت كان ضوء النهار يغمر الغرفة. تمطت وتثاءبت بعينين شبه مغمضتين ثم نهضت من السرير.
في الليلة الماضية عالجت كل ما واجهها بشكل خاطىء كليا، كانت متعبة من الرحلة ومن مواجهة نيكولا، انه نيكولا البارد والغامض، وقد حطم ذلك العزم والقوة التي كانت لديها والتي عملت على تقويتها في شخصيتها ولسنوات.
والطريقة التي سمحت له بتقبيلها على الشاطىء؟ أي مجنونة سيعتقدها؟ وكأن غياب الثماني سنوات لم يحصل! غمرتها موجة من الخجل بتذكرها ذلك. لكن ذلك بدوره حدث من تأثير

تعب الرحلة ولا يعقل ان يتكرر ثانية ابداً. والا فسيعتقد نيكولا انها ستستسلم له دون قتال عدا عن تسليم منزلها له...
عند مغادرتها الشرفة ليلة أمس ذهبت الى غرفتها مباشرة وصفقتالباب خلفها ثم توقفت دون حراك وقد شلتها موجة من الذعر. وكادت ان تحمل حقائبها وتغادر تاركة لعدوها الانتصار.
كادت ان تهرب لكنها لم تفعل. والآن هذا الصباح جلست ثانية على السرير وضمت ركبتيها بين ذراعيها وقطبت جبينها. ستعامله كالزبائن الذين يصعب التعامل معهم في المصرف تماما. ستكون مهذبة باردة جدا، ومهنية جدا، لن تسمح ثانية لنيكولا كيفين بإخراجها عن هدوئها ابدا.
ما الذي ينويه؟ انصتت جيداً فلم تسمع أي صوت. لا شك انه ما زال نائما. فالنهار لا يبدأ عنده الا عند الظهيرة. ستغتسل وترتدي ملابسها ثم ستتسلل، لا هي لن تتسلل، بل ستنزل الى القرية لتستقل سيارة أجرة لتسبق نيكولا الى مكتب المحامي.
نهضت من السرير وتناولت حقيبة مستحضرات الاستحمام والتجميل وفتحت باب غرفتها بحذر. مجددا لم تسمع أي صوت، كانت تسير على رؤوس اصابعها في الممر حين ودون سابق

انذار فتح باب الحمام وظهر نيكولا على عتبته. كانت الستائر على النوافذ لا زالت مغلقة لذا كان الضوء باهتا في الممر وهكذا لم يرها نيكولا للوهلة الأولى وهي تتجمد مكانها ويدها على فمها. لكنه سمع دون شك شهقتها المتفاجئة لأنه رفع بصره إليها بحدة وقال:«ريبيكا.»

كان قد استحم دون شك فالمياه كانت تتساقط بقطرات بطيئة من شعره الأسود ووجهه كان يلمع.

قالت والصدمة واضحة في صوتها:«اتمنى ألا تسير هكذا ثانية.»

اقترب منها وأخذ يحدق برداء نومها القطني الزهري وشعرها المشعث قليلا.

هز رأسه اخيرا وقال بحزن:«اهدأي يا عزيزتي انت مضطربة كالقطة.»

قالت:«انت تجعلني كذلك.» وهي تشعر بأنفاسها تكاد تختنق لقربه منها.

قال وهو يبتسم:«نسيت للحظة وجودك هنا.»

ردت بحدة:«حسنا لربما ستتذكر في المرة القادمة انني هنا.»

اومأ برأسه ثانية وقال:«اتعرفين يا حلوتي، لقد كبرت لتصبحي السيدة المتزمتة المحافظة. خففي عنك ذلك. فالحياة ليست جدية لهذه الدرجة.»

امتدت يده السمراء لتعبث بشعرها. كان لهذه اللمسة البسيطة تأثيرا مزعجا عليها جاعلة كل جسدها يتفجر حرارة ويرتعش فيما دقات قلبها تتسارع. بطريقة ما ابتعدت قليلا عنه وقالت:«اعتقد ان الحياة جدية ومن المؤسف انك لا تعتقد ذلك بدورك. وإلا لكنت اصبحت انسانا مهما فيها.»

قال بسخرية:«اتعتقدين ذلك حقاً؟ يا لريبيكا المسكينة.» ثم اضاف:«ويا للمسكين... ما كان إسمه؟ اجل ريتشارد.»

«ماذا تعني بهذا؟»

«لا شيء، انا واثق من انكما تلائمان بعضكما مئة بالمئة.»

قالت بحدة:«اجل، هذا صحيح.» رفعت رأسها بكبرياء ثم سارت الى الحمام وأغلقت الباب خلفها بعنف. اتكأت الى الباب وملامحها تتسم بالغضب والذعر.

خمس دقائق فقط، هذا كل الوقت الذي احتاجته كي يتبخر كل تصميمها على البقاء باردة ومهذبة وعلى معاملته باحتقار جاف. فالفكرة الوحيدة التي كانت تسيطر عليها وهو قربها كانت الارتماء بين ذراعيه ومسح ابتسامته الساخرة تلك بقبلة.

شاهدت انعكاس صورتها في المرآة امامها وتنفست بغضب لو رآها ريتشارد هكذا الآن لما عرفها... فوجهها متورد وعينيها تبرقان كعيني القطة الغاضبة وصدرها يعلو ويهبط بشدة بسبب عاصفة الغضب التي تجتاحها ازاحت نظرها عن المرآة وبدأت الاستحمام...

حين خرجت جمع الاوراق كلها ووضعها في حقيبة يد جلدية كانت قربه.

سألها:«اتريدين قهوة؟»

«أجل، من فضلك.»

«سادة أم مع حليب؟»

«مع الحليب من فضلك.»

مرر اليها ابريقا ازرق اللون وقال:«جربي هذا الحليب انه طبيعي من الماعز.»

حين رفعت نظرها إليه بدهشة تابع:«اشتريت بعضا منها وهي ترعى على سفح التلة خلف المنزل وتقضي كل حياتها هناك. انا متأكد انك ستتذوقين طعم الازهار في حليبها.»

سألته بدهشة:«وهل حلبتها هذا الصباح؟»

اجاب قائلا:«طبعا، دخلت غرفتك لأسألك ان كنت راغبة بمرافقتي لكنك كنت تغطين بنوم عميق.» قال ذلك بنبرة هادئة.

ان فكرة رؤية نيكولا لها وهي نائمة اثارت

اضطرابها، قالت:«لا شك ان لديك بعض اللبن ايضا المعد من الحليب آريادنا وبيرسفون.»

«آريادنا... تقصدين الماعز؟»

«طبعا ولا شك انها ماعز جميلة المنظر ايضاً. بصوف طويل براق وأجراس حول اعناقها.»

رغم توترها الا انها ضحكت بصوت مرتفع، فرفع حاجبيه وسألها:«ما الأمر؟»

ردت بسرعة:«آه، لا شيء، كنت افكر فقط كم انت رومانسي.»

قال وقد قست عيناه فجأة:«وفي اعتقادك اظن هذا جريمة كبرى؟»

«آه، لا، لا، بالطبع لا. الأمر فقط...» مجدداً عاد الارتباك ليسيطر عليها وتابعت قائلة:«انت مليء بالحركة وديناميكي، ان استطعت الاستفادة من ذلك بتعقل لاستطعت فعل أي شيء.»

«بتعقل؟ لكن لربما انا لا اريد القيام بأي شيء.»

تمتمت:«حسناً، هذا عائد إليك. لا فرق عندي سواء قررت القيام بشيء في حياتك أم لا.»

تابعت تناول طعامها بصمت. وحين انتهت نهضت وحملت الاطباق لوضعها في المطبخ.

نهض نيكولا بدوره وقال:«اتركي ذلك الآن، هل انت مستعدة؟»

«اجل.» وتناولت حقيبتها عن الأرض.
«حسنا.» ونظر الى ساعة معصمه الذهبية فتساءلت ريبيكا أهي من نوع رولكس الثمين؟ بالطبع لا، لكنه لن يبخل بشرائها لو توفر له المال لذلك فنيكولا من النوع المبذر الذي لا يحسب للمستقبل أي حساب.
قال:«حسنا، إذن لنذهب.»
حدقت به وقالت:«لكن ألن تحضر سترتك؟»
نظر الى نفسه وتمتم:«آسف، لقد نسيت.»
تناول سترته من على الكرسي المجاور وارتداها فتشعث شعره قليلا وجراء ذلك انسدلت خصلة منه على جبينه. قاومت ريبيكا رغبة جامحة اجتاحتها بإعادة تلك الخصلة الى مكانها وأبعدت نظرها عنه فيما هو ينتعل حذاءً رياضيا.
قالت باستغراب:«لكنك بالطبع ستغير ملابسك هذه.»
سأل بسخرية:«ماذا تريدين ان ارتدي؟ بذلة رسمية؟»
اجابته:«لا، بالطبع لا. بل ترتدي ملابس لائقة للقاء محامي.»
ضحك فجأة وقال:«ريبيكا، هذه ليست لندن او باريس كما تعلمين.»
«اجل، لكن...»

سأل باستهزاء:«إذن ما هي الملابس المناسبة برأيك لمقابلة محاميك؟»
فجأة امسك بمعصمها وتابع:«تعالي واختاري لي انت بنفسك الثياب الملائمة.»
وقبل ان تتمكن من المجادلة قادها الى غرفته.
كان السرير لا يزال بحالة فوضى والتجويف على الوسادة يدل على مكان رأسه عليها.
ابعدت نظرها عن السرير وفتح نيكولا خزانة ملابسه على مصراعيها.
قال:«انها تحت أمرك.»
كان يقف خلفها واستطاعت ان تتنشق رائحة الصابون وعطر ما بعد الحلاقة وأحست بدوار وشعور مرهف.
هذا غريب لكنها لم تشعر بذلك اطلاقاً مع ريتشارد. نفرت لهذه الفكرة غير الوفية ومدت يدها سريعا لتقليب الملابس امامها.
لا يوجد أي بذلة كما كانت متأكدة، فهي لا تتصور ارتداء نكيولاس لبذلة رسمية رمادية مثلا مع قميص حريري ابيض وربطة عنق مناسبة... الفكرة ذاتها غير ممكنة مما جعلها تبتسم ابتسامة صامتة.
جاءها صوته من خلفها وهو يسألها:«اتريدينني حقا ان ارتدي هذا؟»

www.liilas.com

ادركت ان يديها كانتا ثابتتين على بنطال جينز أزرق فسارعت للقول:«لا، بل هذا.»
ودون إن تنظر إليه تناولت قميصا ازرق اللون وبنطالا ابيض وناولتهما له، وحين رماهما على السرير وبدأ يخلع كنزته سارعت بمغادرة الغرفة.
خرج بعد لحظات وكانت هي بانتظاره على الشرفة. سألها:«هل انت جاهزة؟»
اجابت:«طبعا.» وتناولت حقيبتها ثانية متابعة:«هل سنأخذ سيارة أجرة من القرية؟»
قال وهو يحرك لها بالمفاتيح:«لا داع لذلك، فسأقلك إلى المحامي بنفسي.»
إذن اخيرا اصبح لديه سيارة، تبعته الى المرآب خلف المنزل وانتظرت فيما دخله هو ثم تنهدت بعمق حين رأته خارجا.
لم تكن وسيلة النقل خاصته سيارة بل كانت دراجة نارية ضخمة. ادارها نيكولا واقترب بها منها. «اصعدي.»
«لكن...لا ، سأنزل الى القرية سيراً على الاقدام وأستقل سيارة أجرة.»
استقام نيكولا ونظر إليها نظرة حادة:«بل ستصعدين الآن، ريبيكا ما بك؟ كنت تركبين على دراجتي القديمة بسعادة في الماضي، أليس كذلك؟»

ردت بصوت جليدي:«اجل، لكن كان ذلك في الماضي.»
تذكرت المرة الأولى التي ركبت فيها خلفه على الدراجة، كانت امسية دافئة والاشجار تلقي بظلالها على وجهيهما وهما ينزلان الطريق المتعرج من أعلى التلة، ثم ترجلا عن الدراجة بوصولهما الى كرم العنب وجلسا لاحتساء الليموناضة الباردة ولمراقبة غروب الشمس خلف قمم الجبال العالية.
حين عادا من نزهتهما هذه وكانت تضع خدها على ظهر نيكولا الذي يقود الدراجة بتؤدة وكأنها كانت لا تطيق الابتعاد عنه.
اغمضت عينيها لعمق الألم الذي احست به حينها والآن ايضا لتذكرها ذلك، ثم شدت نفسها بعيدا عن ذكرياتها واستدارت استعدادا للسير الى القرية.
لكن صوت نيكولا اوقفها وهو يقول:«ريبيكا ان لم تصعدي الآن حالا فسأتبعك الى القرية على الدراجة هكذا وسأمنع أي سائق سيارة اجرة من اصطحابك. سأخبرهم ان هذه مشاجرة بين صديقين.»
وقفت مكانها دون حراك للحظة طويلة ثم ودون ان تنظر إليه صعدت على المقعد خلفه.

أدار المحرك فوراً وانطلقت الدراجة النارية هادرة على الطريق المتعرج. فصاحت ريبيكا بذعر وتشبثت بخصر نيكولا اتقاء من السقوط. قفز قطيع من الماعز بعيدا عن الطريق باقتراب الدراجة السريعة منه وعبراً المنازل البيضاء الصغيرة من حولهما سريعا. داعبت الرياح شعرها وعبثت به رغم وضعها للدبابيس فيه.

حين توقف اخيراً قرب مبنى ضخم وسط بلدة سكايثوس كانت ريبيكا تقهقه من حماس المغامرة.

ترجلت عن الدراجة ونظرت إليه وهي تبعد شعرها المشعث عن وجهها المتورد وقالت بسعادة:«كان هذا رائعا.»

خرجت الكلمات منها قبل ان تتمكن من ردعها وللمرة الأولى لم يرمها نيكولا بتلك الابتسامة الساخرة او يلسعها بتعليق لاذع بل اكتفى بالنظر إليها وركن دراجته الى جانب الطريق.

بعد لحظة طويلة، قال:«يوجد بعض الغبار على خدك لا تتحركي.» لامس ابهامه طرف وجهها ثم استدار مبتعدا...

اقترب المحامي الأصغر سناً مما توقعت من خلف مكتبه وقال:«آه، آنسة تيرنر، اهلا، كيف حالك؟ انا آسف بشأن موت جدك! اقدم لك

تعازي الحارة. كان رجلاً رائعاً، وأعتبر نفسي محظوظا لتعرفي إليه.»

ابتسمت ريبيكا بدفء وقالت:«شكراً لك، سأخبر والدي بما قلته.» لكنها ما كانت لتفعل حقا فشهادة ألف محام ما كانت لتبدل رأي والدها بجدها.

«نيكولا.»

«ستافروس.»

جلست ريبيكا على المقعد الجلدي وراقبت بذهول معانقة الرجلين لبعضهما البعض، نيكولا، ستافروس.

قال نيكولا:«آه، نسيت، يجب ان نتحدث بالانكليزية فالآنسة تيرنر لا تتحدث اليونانية.»

رد المحامي:«آسف جدا آنسة تيرنر كان هذا تصرفا غير لائقٍ مني.» ثم توجه بكلامه ثانية الى نيكولا متابعا:«وكيف حال والدتك؟»

احسن حالا وهي تتجاوب كليا مع العلاج، وكريستينا هي بخير كما اتمنى.»

انها رائعة. لا يمكن ان تكون أحسن حالاً.»

سأله نيكولا:«متى موعد ولادة الطفل؟»

بعد ثلاثة اسابيع.»

لم تعد ريبيكا قادرة على تحمل المزيد فقالت:«إذن انتما تعرفان بعضكما البعض.»

جلس نيكولا على المقعد الآخر قربها وقال:«كنا معا في المدرسة.»

شعرت بغصة في داخلها يا لحماقتها! طبعاً في جزيرة صغيرة مثل هذه الجميع يعرف بعضه البعض، ثم خطرت ببالها فكرة اخرى. كان نيكولا على علم بمجيئها وقد اخبرها بذلك بنفسه، فهل يعقل ان محاميها اطلعه على بعض الأمور قبل وصولها؟

قالت بعد جلوس المحامي خلف مكتبه:«آمل الا تنسيء فهمي سيد مايكل. لكن هل لنا بتوضيح مسألة محددة قبل أي شيء آخر؟ اعرف انك كنت محامي جدي لكن انت من تمثل في هذه القضية الآن؟ مصالح من تخدم حاليا، مصالحي أم مصالح السيد كيفين؟»

رماها المحامي بنظرة هادئة من خلف نظاراته قائلا:«اخدم مصلحة العدالة كما آمل آنسة تيرنر.»

انه رد محام متمرس، لكنها لن تشعر بالخوف، رمقت نيكولا بنظرة جانبية سريعة ورأته مسترخيا في مقعده فيما كانت هي تجلس باضطراب وتوتر على طرف المقعد.

تجاهلته وعادت باهتمامها الى المحامي قائلة بنبرة جاهدت لجعلها هادئة:«لكن هل انت محام

السيد كيفين ايضاً؟ ان كان هذا هو الوضع فأظن ان من الافضل ومن الأقل احراجا لك ان وضعت قضيتي بين يدي محام آخر.»

مع ان احدهما لم يكن محرجا بل كان في احسن حالات الراحة وهما يبدوان كيونانيين يتفقان على امرأة غريبة.

«آه، لكني اؤكد لك آنسة تيرنر، انه منذ الانتقال الى هنا فقد استخدم السيد كيفين الوالد العديد من المحامين في أثينا. وفيما يتعلق بالسيد كيفين الابن حسناً...»

رماه المحامي بابتسامة قبل ان يتابع:«فلا اظنه يقدر كثيرا المحامي ضمن اولوياته. وأيضا تغلبه على أي شخص آخر في الدراسة الاكاديمية، في الرياضة، في النجاح مع الفتيات...»

وتبادلا الرجلان نظرة اخرى زادت من حنق ريبيكا قبل ان يتابع المحامي كلامه قائلا:«هذا لن يغير حكمي اطلاقا او يؤثر اقل تأثيرا عليه.»

طأطأت ريبيكا برأسها وقالت:«حسنا جداً.»

بدأ المحامي كلامه:«والآن.» وهو يتناول بعض الاوراق من امامه وتابع:«المشكلة الرئيسية هي تحديد المالك القانوني للمنزل، للأرض المحيطة به وللشاطىء الموجود خلفه.»

لكن بالطبع لا مشكلة بذلك.»

اشارت ريبيكا بنبرة منطقية:«فبعد كل شيء جدي هو من اشترى الأرض وبنى المنزل عليه، لذا...»

وافقها المحامي:«بالطبع، لكن لدينا ايضاً مسألة والد نيكولا.»

«اجل، لكن لا يمكن فعلاً تأسيس... ماذا دعوته؟ مالكاً رسمياً او قانونياً بالاستناد الى ورقة لعب بالية؟»

رمت نيكولا بنظرة اخرى وهو مسترخ على الأريكة وكأن الموضوع برمته يسبب له الملل.

رد المحامي قائلاً:«نقطة جيدة آنسة تيرنر،وصية صحيحة مع شهود كتبتها بنفسي على ظهر ورقة لعب تحمل ايضا توقيع المالك، التاريخ وتواقيع الشهود. سبق لي واستشرت عمي وهو عضو في هيئة المحكمة العليا في أثينا وقد طلب مني العودة الى القضية... باناپيتبلولو ضد فاسيلدس وهي قضية مشابهة قليلا لقضيتكما. باستثناء وجود قائمة طعام المطعم هناك بدل ورقة اللعب هنا وأيضا وجود امرأة كانت يوما صديقة لكلا الطرفين كل على حدة كشاهد.»

سألته ريبيكا بنفاد صبر:«ومن الذي فاز؟»

«حسنا.» هز مايكل رأسه وطيف ابتسامة شاحبة على وجهه وتابع:«تلك حسنة قانونية اخرى.»

شرح لها نيكولا:«يقصد ان احداً لم يفز باستثناء المحامين.»

عضت ريبيكا على شفتها بإحباط. هي لا ترغب بالتورط في قضية مكلفة طويلة الأمد قد تستمر لسنوات. ومن الناحية الأخرى لما تسلم الفيلا بكل بساطة واستسلام دون ان تحاول منع ذلك، كما اراد جدها دون شك؟ رغم كلمات السيد مايكل المطمئنة الا انها تشعر بالوحدة الفظيعة، لو ان ريتشارد كان هنا لمساعدتها، لنصحها بشأن ما يتوجب عليها القيام به...

نظر اليها نيكولا للمرة الأولى وقال:«حسنا يا ريبيكا ما رأيك؟ او بالاحرى ما كان ليكون رأي ريتشارد؟»

شدت على يديها بقوة. هل هو قارىء الافكار؟ قالت:«بوسعك ترك ريتشارد خارج هذا الموضوع.»

سأل بصوت هادىء:«لكن هل يريد ان يترك خارج الموضوع؟» ثم استدار نحو المحامي متابعا:«كان خطيب الآنسة تيرنر ينوي تحويل الفيلا الى مجمع سياحي مزدوج الملكية.»

رد السيد مايكل بدبلوماسية:«هناك العديد من مشاريع التطوير في سكايثوس، ومعظمه يتم على يد اجانب.»

قالت ريبيكا:«اخبرني يا سيد مايكل هل لديك ادنى معرفة بكتابة جدي لوصية أخرى او حيال نيته بتغيير الوصية الحالية قبل وفاته؟»

«لا، اطلاقا.» تابع بحذر:«هو بالطبع لم يخبرني بهكذا أمر البتة.»

«هذا يسوي الأمور إذن.»

اجاب نيكولا ببرود يغلف كلماته القاسية:«باستثناء ان ورقة اللعب التي بحوزتي مؤرخة بتاريخ يسبق تاريخ أي وصية لديك.»

لكنها تجاهلته ووجهت كلامها الى المحامي قائلة:«إذن ماذا تقترح سيد مايكل؟»

نقل المحامي نظره بين وجهها المتورد ووجه نيكولا الخالي من التعبير وقال:«اقترح قيامكما بالتوصل الى تسوية بعيدا عن قاعات المحاكم.»

ضحكت ريبيكا بعصبية وقالت:«لكن هذا مستحيل، فبعد كل شيء التسوية الوحيدة التي يريدها السيد كيفين...» ورمته بنظرة شريرة قبل ان تتابع:«هي عودتي الى لندن هذا الصباح وتركه ليكون وحده المالك الشرعي، آسفة، لكني لا أنوي القيام بذلك.»

رفعت رأسها بتحد ونظر المحامي إليها بتفكير وقال:«لا، اعترف انني لا اراك ممن يتراجعون

بسهولة آنسة تيرنر. اذن بهذه الحالة لعلك تفكرين بتقديم عرض مناسب للسيد كيفين لقاء تركه الفيلا لك.»

قالت:«هذا مرفوض تماما.»

قال نيكولا:«انا لن افعل ذلك اطلاقاً.»

تكلما معا وبنفس الوقت وهما ينظران بغضب الى بعضهما البعض وشعرت ريبيكا انها اكتفت من هذا الحديث، نهضت وتناولت حقيبتها ثم نظرت الى المحامي وقالت:«شكرا لك على نصيحتك سيد مايكل، لكني لست ممن يستسلم بسهولة. تعرض جدي كما هو واضح لعملية...»

وحين رأت النار تتأجج في عيني نيكولا توقفت عن متابعة ما ارادت قوله واستعاضت عنه بقولها:«من الواضح انه ارادني ان احصل على الفيلا لذا فسأبذل كل ما بوسعي لتحقيق امنيته هذه، ولا شك اننا سنتقابل ثانية قريبا جدا.»

مدت يدها بثبات وصافحت المحامي قبل ان تستدير على عقبيها وتغادر المكتب.

الفصل الرابع

كانت واقفة وسط الطريق غير مدركة بأي اتجاه سوف تنطلق حين وصل نيكولا إليها.
سألها:«حسنا، هل انت راضية؟»
«في الحقيقة كلا، نحن لم نحرز تقدماً.»
«لكننا على الأقل نعرف موضع اقدامنا.»
انطلقت سيارة سريعة من قربهما وكادت تدهس ريبيكا لولا ان سارع نيكولا بسحبها الى الرصيف وبدأ بالصراخ على السائق المنطلق بسرعة جنونية، فهمست ريبيكا له:«لا تفعل ذلك.»
«لا افعل ماذا؟»
«تجعل من نفسك ومني محط انظار الجميع.»
سألها بابتسامة خبيثة:«ولِمَ لا؟ هذه واحدة من متع الحياة الصغيرة، سَبق وطلبت منك ان تهدئي يا قطتي الصغيرة. هيا تعالي لنذهب.»
لكنها بالكاد سمعته، القطة الصغيرة... بهذا دعاها في المرة السابقة قبل ثمان سنوات، قال لها انها أصغر من ان تكون قطة لذا فهي قطة صغيرة. ثم ابتسم لها ولامس انفها برقة...
ذهلت لموجة الحزن التي اجتاحتها جراء هذه

الذكريات، ولإخفاء هذا الاضطراب الداخلي قالت له:«انا مندهشة كونك لم ترمني تحت عجلات تلك السيارة.»
ابتسم لها بخفة وقال:«انت تقللين من تقديري، فهذا حل بالغ السهولة، انا أحب القتال خصوصا مع امرأة جميلة خصوصا ان كنت واثقا من النتيجة.»
انت واثق من النتيجة ومتأكد تماماً انك ستحصل على الفيلا؟»
الفيلا؟ آه، اجل... طبعاً، لكن لم اكن اتكلم عن الفيلا.»
شعرت ريبيكا بالدماء تضرج وجهها للمعنى الواضح لكلماته والذي ظهر داخل عينيه الزرقاوين الداكنتين. فرفعت حقيبتها ووضعتها على كتفها ثم سارت مبتعدة عنه.
الا انه امسك بذراعها وأوقفها، قائلاً:«الى أين تنطلقين الآن؟»
سأطلب سيارة اجرة لتعيدني الى المنزل.»
هيا لا تتصرفي بعناد ثانية، لقد احببت ركوب دراجة.»
ربما، لكن...»
وتعرفين تماما انني سائق ماهر.»
فيما وقفت مكانها تركل الحصى بقدمها وضع

يده تحت ذقنها ورفع وجهها إليه قائلاً:«لذا فأنت بأمانٍ تام معي.»

حقا؟ كادت ان تنطق بالكلمة لكنها ردعت نفسها في اللحظة الاخيرة، مرت سيارة أجرة رمادية من امامهما بتلك اللحظة فسارعت ريبيكا خطوةٍ نحوها لكن نيكولا عاد ليمسك بذراعها مشيرا للسائق بمتابعة السير.

سار بها عبر شارع بابادياماننتس ثم الى طريق فرعي ولم يترك يدها الا بوصولهما الى معرض للفنون، كان المعرض مؤثثا ببساطة وذوق وكان اللون الوحيد داخله هو لون اللوحات المختلفة التي تزين جدرانه البيضاء، ظهر رجل متوسط العمر داخل المعرض وحيا نيكولا بشوق، كان الرجلان يقولان شيئا ما عنها، شعرت ريبيكا بذلك، لأن الرجل ابتسم بأدب لها وانحنى قليلا لتحيتها فيما عيناه تعكسان الفضول. ثم ابتعد ونيكولا الى زاوية المعرض البعيدة تاركا إياها في حيرتها.

بعض اللوحات كانت مائية لكن معظمها كانت زيتية. وأخذت تنقل نظرها من لوحة الى أخرى، متأملة المناظر الطبيعية الخلابة التي تصورها اللوحات، وقوارب الصيد البسيطة والمنازل البيضاء الصغيرة ثم توقفت بذهول امام إحدى

اللوحات. كانت هذه اللوحة مختلفة تماماً عن البقية، فهي لا تصور منظرا من جزيرة سكايثوس بل تصور الصحراء.

تحت سماء برتقالية حارة تمتد كثبان الرمل المرسومة بتموج فوق الارضية الرملية الذهبية. كانت اللوحة كالنار تماما وكادت ريبيكا ان تشعر بلسعة حرارة الصحراء على وجهها.

وقفت مكانها مذهولة لبضع دقائق قبل ان تدرك وجود نيكولا قربها.

سألها:«هل تعجبك؟»

اجل، انها رائعة، اتظنهم سيقبلون بطاقة لاعتماد؟ هذه ستكون رائعة...»

حين توقفت عن الكلام فجأة رفع نيكولا حاجبه باستفسار قائلا:«رائعة.»

قالت:«رائعة كهدية زفاف لريتشارد.»

اجابها:«لا اظن ريتشارد سيكترث لهذه اللوحة.»

سألته:«ولمَ لا؟ سبق وأخبرتك انك لا تعرفه.»

هز كتفيه وقال:«على كل الاحوال اللوحة مباعة.»

قالت بعناد:«لا يوجد بطاقة مباعة عليها كحال بعض اللوحات الأخرى. لذا فسوق اسأل عنها.»

وضع ذراعه حول خصرها مجبراً إياها على الاستدارة بقوة فاجأتها وجعلتها تضع كلتا يديها على صدره لتحاشي فقدان التوازن للحظات قليلة. سمعته يقول:«اللوحة مباعة.» ورفع امامها اوراقا نقدية كثيرة.

نقلت نظرها من المال إليه ثم ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت بذعر:«تقصد... انك من رسمها؟»

«هذا صحيح.» وأشار الى زاوية اللوحة للحرفين ن. د. بخط اسود نافر.

سألته:«اتعرف من الذي اشتراها؟»

هز كتفيه مجددا وقال:«آه، صناعي الماني وصل بقاربه للتو الى الميناء. تعرفين، انه احد اولئك السياح الذين يملكون مالا اكثر مما يملكون عقلا كما سبق وقلت.»

زمت شفتيها بامتعاض لكنه تجاهلها متابعا:«اتعرفين يا كوكولا، اظن لا زال هناك أملا لك بعد كل شيء.»

«وماذا يعني ذلك؟»

«انك وبكل بساطة تبدين باردة جداً ومتمسكة بكرامتك، لكن انجذابك الى هذه اللوحة التي تعبر عن النار والحرارة اللتين تظهران ذلك الجانب فيك،الجانب الذي بدأت اعتقد انني تخيلت بقاءه بداخلك.»

جل، لا بأس لعلني لم اعجب بها حقاً بعدما
ملتها الآن جيداً.»
لا زال موجوداً في اعماقك ولم يندثر تماماً
غم بذل بعض الناس جهدهم كي يطمروه.
ه بداخلك بانتظار الرجل المناسب كي يعيد
شعاله.»
هتفت به:«توقف. لا تخاطبني بهذه الطريقة.»
سألها:«حقا؟» وودع البائع ثم دفعها برفق الى
خارج. اوقفها امام واجهة محل مجوهرات
صغير وقال:«وكأنني اتذكر انني وعدتك قبل
فترة طويلة بشراء سوار لك.»
هتفت:«آه، لا، ارجوك.» وقد غمرها الارتباك
رغبته بصرف المال عليها، إضافة لشعور خادع
بالسعادة لتذكره وعده هذا، لكن الارتباك تغلب
فتابعت:«افضل عدم قيامك بذلك.»
قال ببرودة:«هراء.» ومد اوراق النقد امامها
قائلا:«هذه تسبب فجوة في جيبي.»
في اللحظة التالي كانت تخطو بتردد داخل
محل فيما ذراعه حول وسطها ويدفعها لدخول
المكان. فيما اقترب البائع الشاب منهما وحيّا
كوكولا بحرارة.
وقع نظر ريبيكا على علاقة مفاتيح يونانية جميلة
ثمنها رخيص.

لذا حين إستدار وسألها:«والآن يا ريبيكا هل رأيت شيئا اعجبك؟»
قالتٍ وهي تشير الى العلاقة:«هذه جميلة جدا.»
لكن فيما اوشك البائع على احضار العلاقة لها هز نيكولا يده وتمتم باليونانية للبائع الذي ابتعد الى ركنٍ آخر من المحل وفتح خزانة خشبية محضرا منها صندوقا كبير الحجم. فتح الصندوق وظهرت بداخله مجموعة من الاساور الفضية الرائعة المزينة بالاحجار الكريمة الفيروزية والخضراء والحمراء، نظر نيكولا اليها ثم تناول اضخمها وقال:«هاتي يدك.»
بعد نظرة تهديد منه اطاعته وسمحت له بإلباسها إياها. كانت الاسوارة من الفضة المزخرفة والمرصعة بالأحجار الفيروزية الرائعة.
همست:«من فضلك. افضل ألا...» لكنه تجاهلها واتجه نحو البائع سائلا إياه عن سعرها.
شاهدت ريبيكا انتقال الاوراق النقدية الكثيرة من يد نيكولا الى يد البائع. وحين خرجا استدارت نحوه بحدة وقالت:«ما كان يجدر بك فعل هذا، انت غير معقول.»
«ألم تعجبك؟»
نظرت الى السوار لمسته بأصابعها وقالت بصوت

مجروح:«بلى بالطبع تعجبني، انها جميلة، لا بل رائعة، شكرا لك يا نيكولا.» ولأن الغصة التي شعرت بها في حلقها اغضبتها من نفسها فقد تابعت:«لكن ما كان يجدر بك شرائها، لن يكون لديك أي مبلغ من المال ان بقيت مسرفا هكذا طوال الوقت، تلك الساعة...»
نظر الى الساعة بعدم اكتراث وسأل:«ماذا عنها؟»
«انها من نوع رولكس، أليس كذلك؟»
«هذا ممكن.»
«واظنك اشتريتها بثمن لوحة أخرى من لوحاتك.»
لامس انفها بخفة قائلاً:«اهتمي بشؤونك الخاصة، آنسة متزمتة.»
رفضت الصمت وتابعت:«اجل، انت محق ليس هذا من شأني، لكن الا تفكر ابدا بتوفير مالك بدل صرفه وتبذيره هكذا طيلة الوقت؟»
هز نيكولا رأسه بأسف قائلا:«تتحدثين كموظفة مصرف حقيقية، لكن سعادة الحياة الآن يا حلوتي لا في وقت ما من المستقبل، وان كان سعادك يسعدني...»
التقت عيونهما للحظة طويلة وأدركت ريبيكا انه لم يعد يتحدث عن السوار فقط وتابع:«والآن

لنذهب لاحتساء القهوة.»

استرخت ريبيكا على كرسيها الخشبي الابيض في المقهى الصغير وحدقت بالحاجز الملون من النباتات الخضراء والازهار الملونة الذي يفصل بين هذا المقهى والآخر الملاصق له، وكان البحر على الطرف القريب الآخر حيث تتجول قوارب الصيد الصغيرة في رحابة وحيث كانت تتقدم الى الميناء سفينة شحن متوسطة الحجم قادمة من البر الأم. ومر من أمامها حصان محملا بالكثير من المعدات الحديثة وكأنه محل متجول، فابتسمت ريبيكا بسعادة لنفسها.

سألها نيكولا الذي كان يراقبها: «ما الأمر؟» فيما هي تراقب ما حولها.

قالت بابتسامة: «آه، كنت افكر فقط. لا عجب انك متمسك بالعيش هنا في سكايثوس طيلة الوقت، اعني... لا اظنني سأرغب بالقيام بأي عمل إذا عشت هنا ولن ارغب طبعا بالجلوس خلف مكتب في مصرف طيلة النهار.»

قال بجفاف متابعا: «ولهذا دون شك تعدين الأيام بالساعة لحين عودتك الى لندن. لكن ماذا عن ما بعد زواجك؟ هل سيرغب ريتشارد بمتابعتك العمل؟»

«حسنا، في الواقع ريتشارد...» وصمتت تماما.

حثها قائلاً: «ريتشارد؟»

تابعت مترددة: «يريدني ان اتوقف عن العمل فورا.»

«وهل ستفعلين؟»

«لا اظن ذلك. فأنا لا اتخيل نفسي مجرد سيدة منزل ومضيفة.» ابتسمت بخفة ثم عضت على شفتها. كيف يمكن لها إن تكون عديمة الوفاء لريتشارد هكذا خصوصا امام هذا الرجل من بين كل الرجال؟

مرت امرأة شابة من قربهما وهي تجر عربة طفل عبر الطاولات وتسير أمامها طفلة عمرها حوالي السنتين كادت الطفلة الصغيرة ان تتعثر بوصولها الى طاولتهما فسارعت ريبيكا لحفظ توازنها. فضحكت الطفلة لهما مظهرة اسنانها الثلاثة فقط قبل ان تتابع السير.

شكرت الأم ريبيكا بابتسامة وتابعت سيرها بدورها.

قال نيكولا: «يريدك ريتشارد ان تكوني زوجة، مضيفة وأم بالطبع؟»

«أم؟ ماذا تقصد؟ آه...» توقفت بارتباك لم يتطرق ريتشارد لموضوع الاطفال اطلاقا اثناء مناقشة مخططات مستقبلهما الوردي.

قال نيكولا: «لو كنت زوجتي...» وهو يمعن بعدم

خجل تلون العاطفة المنعكسة على ملامحها:«لكان للأمومة الموضع الأول والأهم في لائحتي. فوق موضع المضيفة بمراحل.»

لو كنت زوجتي. ان تكون زوجة نيكولا...

«أنا...» بدأت وهي تحدق به بعينين واسعتين وشعرت باللون الاحمر يضرج وجنتيها، فانحنت الى الأمام لتتناول حقيبتها لإخفاء وجهها عنه.

قال:«اسمحي لي.» ومد يده ليتناول حقيبتها عنها في اللحظة ذاتها مما تسبب بسقوط الحقيبة من بين اصابعها الى الأرض حيث تناثرت محتوياتها على الأرض المرصوفة بالبلاط الملون. وقبل ان تتمكن من التحرك كان هو جاثيا على الأرض ململما اشياءها ومحفظتها المفتوحة الملقاة على الأرض، مد يده لتناول المحفظة فسقطت منها ورقة اعادت ريبيكا الى الواقع فجأة. قفزت ريبيكا من مكانها وهتفت:«لا، لا، اتركها انا سأجمعها.»

رفع نظره إليها لكن وقبل ان تتحرك رمى المحفظة على الطاولة امامها وتناول الورقة عن الأرض، ظل ينظر الى تلك الورقة حتى وهو ينهض من مكانه ليجلس مجدداً على كرسيه.

سأل:«الشبه قريب جدا، أليس كذلك؟» وتعبير غريب يلمع داخل عينيه. حين لم تتفوه بشيء مرر

الورقة إليها فأخذت تحدق بها رغم حفظها غيباً لكل خط من خطوط صورتها المرسومة بيده، كل حركة من حركاتها وهي تبعد شعرها عن وجهها وتبتسم بكل عذوبة، لكنها ادركت الآن انه نجح حينها برسم الخسارة الواضحة داخل عينيها والتي لم تلحظها في صورتها الا الآن.

اجبرت نفسها على الابتسام والقول:«نسيت انني ما زلت احتفظ بها حتى الآن.»

اخذت تجعد الورقة بين اصابعها لكنه سارع بالقبض على يدها وفتح اصابعها متناولا الورقة منها ثم اعاد تمسيدها ووضعها في جيب قميصه فيما ريبيكا تجاهد لمنع نفسها من مهاجمته وأخذ الورقة منه وهي تصيح انها لي! اعدها لي! ووجدت نفسها تسأله ببرود:«الن ترميها؟»

ابتسم لها وقال:«أرمي باكورة اعمال نيكولا كيفين الفنية؟ فكري فقط... قد تصبح هذه الورقة ذات قيمة مالية ضخمة في يوم من الايام. قد يشتريها احدهم، بعد مئة سنة من الآن، من معرض فنون في لندن ثم يبدأ البحث عن الفتاة التي تمثلها هذه الرسمة، من كانت الفتاة الجميلة ذات العينين الحزينتين؟»

نظرت إليه بذهو، إذن هو بدوره ايضا قد انتبه

لذلك، اجل هذا مؤكد فهو فنان مرهف الاحساس! ولا بد انه رأى اكثر من مجرد الحزن في ذاك الوجه الفتي اليافع الواضح التعابير...

سمعته يتابع قائلا:«وسيتقدم احد الاولاد ويقول انا شبه متأكدٍ انها جدتي ريبيكا التي مرت في الزمان. وتماما كما يحدث في القصص الخيالية، ذهبتٍ بعطلة الى اليونان والتقت رساما يافعا وسيما.»

قالت:«لا تكن احمق.» فيما الألم في صدرها كان لا يحتمل.

قال:«آه، آسف.» وضرب جبينه بكفه متابعا:«نسيت تماما، لن يكونٍ من احفاد لديك لأن لا وجود للاطفال اصلا في مخططاتك، صحيح؟»

ردتٍ بدفاعٍ:«انا لم اقل ذلك.» ثم سحبت نفسا عميقا وتابعت:«من فضلك يا نيكولا لا داع للاقتتال طوال الوقت. الا يمكن ان نكون صديقين؟ فقد كنا كذلك قبل سنوات.»

قال بصوت قاس:«لا، لا يمكن ان نكون صديقين.»

شعرت بكلامه كصفعة على وجهها، فقالت:«تقصد بسبب المنزل؟ لكن ان كنا متحضرين فسنتمكن بالطبع من معالجة هذه المسألة،

فمن سيخسر بنسحب بطريقةٍ مهذبة و...»

قاطعها بحدة:«انا لا انسحب ابدا بطريقةٍ مهذبة، وفي الواقع لا علاقة لهذا بالمنزل اطلاقا.»

ارتجفت فجأة للتعبير الذي ظهر على ملامحه، لكنها قالت:«ما الأمر اذن؟ تصادم شخصيات معاكسة؟ هذا هو الأمر، لا؟ فقد اوضحت منذ البداية انك لم تعد معجباٍ بي.» ابتسمت له بخفة، لكن حين لم تلق ردا منه تابعت بصوت مرتجف:«لماذا لم تعد يا نيكولا؟ ذاك اليوم بعد ان... اقصد...»

قال فجأة:«افهم تماماً ما تقصدين. ذاك اليوم بعدٍ ان قبلتك. لكن اترين يا ريبيكا، لقد عدت فعلا.»

«في اليوم التالي؟ لكني كنت على الشاطىء طيلة الوقت و...»

قاطعها متابعا:«اعرف. جلست خلف الاشجار اراقبك وانت تسيرين ذهابا وإيابا على الشاطىء متظاهرة بالبحث عن الاصداف فيما انت في الحقيقة تنتظرين مجيئي.»

أكانت شفافة لهذه الدرجة؟ فصرخت به قائلة وحزن كل السنوات السابقة في صوتها:«اذن انت كنت تلعب معي لعبة قاسية فقط؟»

لا، لم اكن ألعب معك، في الواقع كان جلوسي

هناك اصعب ما مر علي في حياتي كلها وأنا امنع نفسي من الاسراع إليك وحملك بين ذراعي.»

قالت والفرح يجتاحها ببطء:«لكن... لماذا لم تفعل؟»

«لم اجرؤ على ذلك، لأنني وتبعاً للمشاعر التي كانت بداخلي حينها وكوني بالطبع يونانيا شاباً بدماء حارة فقد كانت هناك نتيجة واحدة لنهاية ذلك المشهد بحال فعلت، وانت كنت لا تزالين طفلة. مجرد طفلة بريئة لذا فقد بقيت بعيداً.»

«فهمت.» تمتمت وعيناها مركزتان على فنجان قهوتها الفارغ على الطاولة. لم تتجرأ على رفع نظرها إليه كي لا يرى التعبير داخلهما.

«والآن يا ريبيكا وبعد ثماني سنوات لا يمكننا ان نكون صديقين كما تقولين لأنك لم تعودي طفلة. ما بيننا الآن يا ريبيكا يختلف عن علاقة الصبي بالفتاة.»

سارعت للقول بصوت مرتفع:«لا شيء بيننا.»

مد يده وأمسك بيدها متحسساً شريانها الذي كان ينبض بشدة وقال بنعومة:«آه، بل هناك شيء ما وأنت متأكدة من ذلك مثلي تماما.»

تسمرت مكانها فيما ابهامه يمسد شريان معصمها ولم تستطع الا التحديق به ناسية

كل ما حولها من اصوات وأشكال وأشياء.

«لا يمكننا ان نكون صديقين يا ريبيكا، لكن يمكن ان نكون حبيبين.» وأشار للنادل وأعطاه بعض المال، ثم فيما هي لا زالت متجمدة على كرسيها قال بهدوء:«هلا ذهبنا؟»

الفصل الخامس

أوقف نيكولا الدراجة النارية خارج السوبر ماركت وترجلت ريبيكا بدورها بعد مجاهدتها للتمسك بالمقبض الحديدي الخلفي كي لا تحيط خصره بذراعيها. ومع ان ذلك كان صعبا جدا الا انها نجحت في الوصول سالمة الى هذه المحطة.
فيما دخلا المتجر اعلن بنبرة جازمة:«علينا شراء بعض الاطعمة والمعلبات.»
قالت ببرودة:«عليك السماح لي بدفع حصتي.»
هذه افضل طريقة للتعامل معه، البقاء باردة ومتباعدة فلعل ذلك يضعه عند حده، كان هذا ما قررته اثناء ركوبها خلفه على الدراجة النارية قبل وصولهما الى هذا المكان.
قال حين فتحت فمها للاعتراض:«لكنك ضيفتي في سكايثوس.»
التزمت بالصمت وعبست خلف ظهره فيما هو يتناول سلة ليضع فيها المشتريات. كيف يعقل انه يعالج الأمور وفقا لإرادته معها هي بالذات فيما هو ذاك الشخص الذي يعيش حياته بشكل بويهيمي فوضوي؟ وان كان هذا هو حاله معها فما السبيل للتغلب عليه

في مسائل اكبر كمسألة المنزل او حتى...
«ماذا ترغبين ان تتناولي على الغداء؟»
ردت:«آه، لا فرق عندي لعل العجة ستكون مناسبة.»
قال بارتياح:«حسناً. سأشتري البيض. ايمكنك احضار علب لبن من هناك؟» وأشار الى رف قريب.
اومأت برأسها واتجهت الى المكان لتجد العديد من العلب المتشابهة والمغطاة بالكتابة اليونانية. ترددت للحظات قبل ان تتناول علبة وتقول له:«هل هذا هو اللبن؟»
«لا، انه جبنة، انظري مكتوب على العلبة تيري أي جبنة. تلك هي علب اللبن وإسمها جياورتي.»
ابتسم لها قبل ان يتابع:«عليّ فعلا البدء بإعطائك بعض الدروس في اللغة اليونانية. آه، واجلبي ايضا مرطبان العسل ذاك. سنتناول اللبن والعسل كفطورنا غدا.»
فطورنا غدا... يا للحميمية المشتركة. وهناك حميمية ما في طريقة نطقه بالكلمات التي وكأنه متأكد انه قبل انتهاء الليل سيكونان متفقين.
سألها وابتسامة خبيثة تلون وجهه:«هل تحبين ذلك؟» وكأنه قرأ الفكرة التي تجول بخاطرها.
متعمدة تجاهلت مقصده وقالت:«اجل،

شبكة ليلاس الثقافية
www.liilas.com

اتذكر العسل منذ المرة الأخيرة.» واستدارت مبتعدة...

* * *

قالت:«سأهتم بتنظيف هذه الصحون.» واتجهت الى المطبخ سعيدة بوجود سبب لتهربها من رفقته. لم تلق نظرةعليه فيما هو مستلق على الكرسي الهزاز وبيده فنجان القهوة.

وضعت الصحون في المجلى ثم فتحت الماء عليها وأخذت تحدق بفقاعات الماء، لم تعرف كيف مرت فترة الغداء، كان طعم العجة الشهي كطعم التبن في حلقها، فهي كانت محتجزة في كرسيها امام نيكولا فيما تلك الكلمات المدمرة التي قالها في المطعم تهيم في الهواء بينهما محولة كل اعصابها الى كتلة من التوتر المتفجر.

سنكون حبيبين... عن قصد وتعمد رفع هو التكليف بينهما الى اقصى حد.

«سأجفف الصحون.»

جاءها صوته من الخلف، فأدركت انه وصل الى المطبخ بخفة دون ان تشعر هي به اطلاقا. انزلق الصحن الذي كان بين يديها الى الماء، قالت من دون ان تنظر إليه:«لا داع لذلك، فستجف الصحون بمفردها.»

«حسناً.» وحين اعتقدت انه عاد الى غرفة الجلوس شعرت ومن دون سابق انذار بذراعيه تحيطان بخصرها، وأحست به يلتصق بها، استقامت في وقفتها ثم لم تجرؤ على التحرك لشدة ارتباكها وحنقها.

قالت:«اتركني يا نيكولا من فضلك.»

قال متجاهلاً توسلها:«اتعرفين يا ريبيكا، كنت اقرأ قبل ايام ان استفتاء مثيرا تم اجراؤه... في اليابان على ما اظن. ومفاده من بين المناطق الاكثر حساسية في المرأة فإن العنق هو الأكثر حساسية تجاه قبلات الرجل، هل قرأت ذاك الاستفتاء يا ريبيكا؟»

قالت باختصار:«لا.»

«لا اذكر البقعة المحددة بالذات... لكني اظنها عند وسط العنق.» فيما شعرت بأصابعه تبعد شعرها عن مؤخرة رقبتها. ارتجفت بخفة قبل ان تلامس شفاهه الدافئة رقبتها.

«أهذه هي البقعة برأيك؟»

ردت بتوتر:«لا.»

«ما رأيك بهذه هنا إذن؟»

غرزت اصابعها في راحتيها داخل المجلى كي تقاوم ذلك الاستفتاء غير الصحيح. عضت على شفتها بقوة للتحكم برباطة جأشها امام تيار

www.liilas.com

الاحاسيس الذي كان ينتابها للمرة الأولى في حياتها.

شعرت بنيكولا يبتسم ابتسامة الذئب خلف ظهرها.

«ايتها الكاذبة الصغيرة.»

شهقت وارتجفت بشدة ثم وقبل ان تنهار مقاومتها انتزعت نفسها بقوة من بين ذراعيه واستدارت لتواجهه. قالت بصوت مرتجف:«قلت لك اتركني وشأني.»

«لكن هل هذا ما تريدين مني فعله حقاً؟»

قالت:«اجل وبكل تأكيد.» وهي تنظر الى يدها حيث كادت اظافرها ان تدمي راحتها وإلى خاتمها وتابعت:«لعلك نسيت انني مخطوبة.»

«لا، لم انس.» سأل بنبرة شبه مرحة:« هل نسيت انت؟» لكن عينيه لم تكونا كذلك اطلاقا وتابع:«تعالي الى غرفتك حين تنتهين من هنا.»

وفيما رفعت رأسها إليه بذهول تابع:«لقد وعدت بإخراج لوحاتي من غرفتك اتذكرين. بإمكانك مساعدتي بذلك.»

راقبته من طرف عينيها وهو يغادر كالفهد. حتى انه كان يدندن بسعادة... يا لثقته بنفسه! ويا لعجرفته! رمته بنظرة قاتلة وهو يغادر ثم ضربت قبضتها بقوة على الطاولة.

ما الذي قالته لنفسها؟ ستضعه عند حده، والآن باقترابه منها للمرة الأولى ذابت كليا بين يديه.

تساءلت بيأس: هل مناخ اليونان ام هو السبب في تصرفها هذا غير المتوازن؟ مهما كان السبب فان ارادت مقاتلته عليها محاولة المقاومة لا ان تستسلم بمجرد لمسه لها. لكن أليس هذا ما ينويه ذاك الوقح بالضبط؟

تساءلت: التهديد، الوعد، او مهما كان ذلك في ذاك المقهى على الميناء والآن هذا الإغواء الصريح المدروس، أليس هذا تخطيط منه يهدف إلى إعادتها الى انكلترا طالبة من ريتشارد حمايته وتاركة إياه كمنتصر يوناني هنا؟

اجل، هذا مؤكد، يا له من محتال. حسناً، هي لن تهرب كفأرة جبانة... هذا لن يحدث ابداً.

قال فور ظهورها عند عتبة غرفتها:«اخيراً.» واقترب منها مناولا إياها مجموعة من اللوحات ومتابعا:«خذيها الى الاستوديو في آخر الممر.»

تناولت اللوحات منه وحملتها الى الغرفة التي اشار إليها ورمتها على الأرض قرب كومة أخرى، استدارت لتغادر لإحضار المزيد حين توقفت ونظرت حولها، ذهلت رغم إرادتها بجمال الاستديو هذا، كان هناك قاعدة للرسم والعديد من الريش وحناجر التلوين وكان القميص

www.elias.com

الابيض الملطخ بالألوان مرمياً على الأرض.
سارت ريبيكا لرفعه وتعليقه مكانه لكنها أبقته بين ذراعيها لبعض الوقت وقد لامست أنفها رائحة نيكولا المميزة المنبعثة من القميص. ظلت دون حراك لبضع ثوان قبل ان تعيد تعليقه بغضب مكانه وتستدير مغادرة المكان.
قال:«هذا جيد.» وهو يناولها كمية اخرى من اللوحات ويسير خلفها حاملا لوحة ضخمة غير مكتملة تصور المنظر الطبيعي من شرفة الفيلا.
وضعت اللوحات مكانها فيما انحنى هو وظهره لها ليضع اللوحة غير المكتملة بتؤدة على الجدار المقابل.
كان قد بدل ملابسه وعاد لارتداء الجينز. وجدت ريبيكا نفسها تحدق بظهره البرونزي البراق.
استدارت فجأة وكأنه شعر بنظراتها على ظهره والتقت عيونهما للحظة حارقة شعرت ريبيكا بلسعة حارة في اعماقها.
لحظة طويلة مرت قبل ان تجبر نفسها على القول:«لديك العديد من اللوحات هنا.»
استقام ببطء واقترب منها قائلا:«تقع هذه الغرفة كما ترين على الواجهة الغربية ولديها هذه النافذة الضخمة.» اشار الى النافذة الضخمة التي تدخل اكبر كمية ضوء ممكنة الى الداخل.

ثم تابع:«سمح لي جيرالد بتحويلها الى استوديو للرسم يمكنني استخدامه كلما يحلو لي.»
«لم اعرف ان علاقتك به كانت عميقة لهذه الدرجة.»
في الواقع هي لم تعرف شيئاً عن نيكولا حين التقته تلك المرة قبل سنوات، لم تكن تعرف اسم عائلته او أين يعيش، كان يظهر قربها كل يوم وقد تقبلت ذلك برضى. وهي لم تخبر جدها عنه بل احتفظت بسر لقاءاتهما لنفسها...
هز كتفيه قليلا وقال:«لم تكن معرفتنا كذلك بالبداية. ليس اثناء تواجدك هنا، كان حينها صديقا لوالدي. لكني تعرفت عليه بعد ذلك.»
قالت:«فهمت.» كان قريبا جدا منها وشعرت بنبضها يتسارع لمجرد ذلك وكأنه كان فعلا يلمسها. فسارعت للابتعاد بضع خطوات عنه وسألت:«هل يمكنني القاء نظرة على لوحاتك؟»
اجابها:«طبعا.» انحنى على حافة النافذة وأخذ يراقبها وهي تتنقل من لوحة لأخرى.
كانت معظم اللوحات تصور مناظر طبيعية فاتنة، نابضة بالحيوية، فيما امواج البحر هادرة على الرمال حينا وعلى الصخور حينا آخر.
لكنها توقفت امام مجموعة اخرى من اللوحات التي تواجه الجدار. اخذت تتفحصها وتنظر

إليها واحدة تلو الأخرى، ووجدت ان اللوحات كلها لفتاة واحدة... فتاة شابة وفاتنة الجمال، احيانا كان شعرها الحريري الاسود منسدلا على كتفيها وأحيانا اخرى كان مرفوعا، لكن الوجه دوما هو ذاته...

تابعت النظر الى حوالي نصف دزينة من تلك اللوحات وهي مدركة لعيني نيكولا المركزتين عليها ثم توقفت فجأة بذهول لرؤيتها للفتاة ذاتها وهي مستلقية على سرير واسع وإحدى يديها خلف رأسها وهي تحدق بالرسام.

استطاعت ريبيكا رؤية التنورة الملونة القصيرة والكنزة القطنية الزهرية. ليس الملابس هي ما خطف بصرها وجعلها تحدق بها بل عيني هذه الفتاة. عينان سوداوان واسعتان تلمعان.

سألها:«هل اعجبتك؟» وبدا لها ان صوته يأت من عالم آخر.

ردت بجفاف:«لقد رسمت اللوحة بشكل جيد.»

«انها ايلينا، العارضة المفضلة عندي.»

هل هذه مخيلتها ام ان صوته تلون بالدفء

وتابع:«لطالما جلست امامي كي ارسمها.»

أراهن على ذلك. قالت ريبيكا لنفسها بحنق، سألها برقة:«ما الأمر يا حلوتي، لا تشعرين بالغيرة منها، أليس كذلك؟»

«الغيرة؟» ردت وضحكت بازدراء متابعة:«الغيرة من فتاة واضح انها لا تساوي اكثر ما تبدو عليه.»

قال بإغاظة:«يا لهذة الجملة البشعة لوصف هكذا جمال انثوي.» وأدركت انه لم يكن يقصد الفتاة بعينها.

اعادت اللوحة الى مكانها واستقامت متأوهة جراء شعورها بالخدر في ساقها. فيما ترنحت ساعد هو للإمساك بها وبظرف لحظات كان يقبلها.

قررت بالبداية عدم التجاوب معه محاولة اقناع نفسها ان ما يفعله مجرد خطة لطردها، لكن امام إصراره لم تعد قادرة على المقاومة ووجدت نفسها ترد عناقه متجاوبة معه بقوة لم تعهدها لديها من قبل، افلتها اخيرا لكن دون ان يبعد ذراعيه عنها، فرفعت نظرها إليه ذاهلة دون ان تراه للحظات.

رأت الابتسامة الخفيفة على فمه وكادت ان تسقط ارضا من الغيظ من نفسها لولا انه كان يمسك بها.

قالت بعد ان استعادت رباطة جأشها:«انت تضيع وقتك سدى يا نيكولا، إذا اعتقدت ان بإمكانك إغوائي فأعدك انك لن تنجح.»

قال:«كلمات شجاعة.» وظل يحدق بها بتفكير للحظة ثم تابع:«هل انت امرأة تحب المراهنة؟»

«لا، لست كذلك.»

قال:«لا يهم.» ثم تابع:«اترغبين بأن ارسمك يا ريبيكا؟»

صاحت:«ماذا؟» وهي تحدق به وبالكاد تسمع ما يقوله بسبب خفقات قلبها المتسارعة العالية.

وتابعت:«اظنك تقصد بهذه الطريقة؟» ونظرت بامتعاض الى اللوحة التي امامها.

«طبعا ان اردت...»

«لا، لا اريد.»

قال باحتقار:«لا، لم اظنك ستفعلين.» مما فجر فتيل غضبها وتابع:«لكني اؤكد لكِ انه حين ارسم فتاة فان عقلي كله يكون مركزاً فقط على الضوء والظل، وعلى نوعية البشرة وليس على أي شيء آخر.»

اندفعت الكلمات من فمها:«تقصد كما كان الحال مع ايلينا؟» لم تتمكن من ردعها وتابعت:«اظنها كانت مجرد ضوء وظل، أليس كذلك؟»

اجابها:«لا بأس، لربما لم يكن الأمر كذلك بالضبط.»

شعرت ريبيكا برغبتها بالانقضاض عليه وغرز اظفارها في وجهه لابعاد تلك الابتسامة الخبيثة

عن شفتيه وتابع:«لكني سأرسم لوحة جميلة ومحترمة لك.»

«حسناً...» ونظرت إليه وهي تفكر في ان قضاء الساعات الطوال برفقة نيكولا في الاستوديو كانت مستحيلة، لكن على الأقل هذا سيمنعه من التسلل الى مكتب المحامي...

تابع نيكولا قائلاً:«يمكنك أعطائها الى ريتشارد كهدية زفاف، هذا إذا رسمتك بطريقة ماهرة بالطبع.»

ردت ببطء:«حسناً. كنت سأهديه مجموعة من الاسطوانات فهو يعشق الموسيقى الهادئة.»

وحين لاحظت تعابير وجهه تابعت:«وما عيب ذلك؟»

«لا شيء، الأمر فقط انني احب موسيقى الجاز وبالذات البلوز.»

قالت ريبيكا في نفسها:اجل فهذا يليق بك، تلك الموسيقى الصاخبة المثيرة.

تمتم:«حسناً. سيكون رسم الوجه والكتفين بحد ذاته تحدياً.»

«انا لم اقل بعد انني سأجلس امامك لترسمني.»

تابعت ببرود:«لكن في حال فعلت، فلماذا تعتبر ذلك تحدياً؟»

اجابها:«كي تظهر ريبيكا الحقيقية طبعاً.»

رمته بنظرة منزعجة وسألت:«ماذا تقصد؟»
«إزالة القناع عن وجهك كي اظهر كل الاشياء المثيرة المختفية خلف ذلك الوجه الجميل وتلك العينين العسليتين الكبيرتين.»
احتجت بقوة:«لكني لا اخفي شيئاً من شخصيتي، هذه انا على حقيقتي.»
اكتفى بالابتسام وقال:«سأختار ما ترتدين.»
قالت وهي تقف وراءه:«انها لوحتي انا وأنا من سيختار ملابسي.» وأسرعت خلفه الى غرفتها.
اخرج نصف الملابس من خزانتها وناولها كنزة طويلة الاكمام من القطن الهندي السميك مع تنورة سوداء وبيضاء ضيقة وقصيرة وقال:«هذه ستفي بالغرض. بدلي ملابسك.»
احتجت قائلة:«لكني لا احب هذه الكنزة، لقد احضرتها فقط في حال برد الطقس.»
«سأجهز عدتي.» كان هذا كل ما قاله قبل ان يغادر الغرفة.
ضربت الارض بقدمها بإحباط. ما الذي ورطت نفسها به؟ لا بد انها جنت، لكن في حال اعجب ريتشارد باللوحة فستكون هدية زفاف ممتازة، ولكن هل ترغب هي بوجود جزء من نيكولا معها في غرفة جلوسها؟

حين خرجت كان يسير على الشرفة، وعندما رآها تمتم شيئاً باليونانية ثم قال:«اين كنت حتى الآن لقد اطلب منك الخضوع لجلسة تجميل مدتها ثلاث ساعات. الإضاءة ممتازة بهذا الوقت.»
«شرفة.» ورمته بنظرة عدائية من بين رموشها.
«هيا.» وتناول قاعدة الرسم وحقيبة المعدات على كتفه.
وقفت على رأس السلالم وسألت:«لكن ألن نذهب الى الاستوديو؟»
«لماذا؟ سأرسمك في بستان الزيتون بالطبع.»
«لم ترغب برسم نيكولا لها هناك. ارادت ان ترسم في الاستوديو الآمن. قالت:«لا.» لكنه كان قد ابتعد...
«قال:«إقطفي باقة من الأزهار.» وهو يرتب ألوانه تابعاً:«حسناً ما الذي تنتظرين؟» كان صوته قاسياً وآمراً في نفس الوقت فسارعت الى طاعته.
سألته:«هل يكفي هذا؟» وهي ترفع باقة من زهار السوسن والنرجس واللافندر والاقحوان رائعة بتماوج ألوانها الطبيعية.
«قال:«جيد.» وبالكاد نظر إليها ثم تابع:«والآن اجلسي هناك قرب جذع الشجرة تلك، لا، ليس هناك...» ثم دفعها برفق الى جذع شجرة زيتون

قديمة وجلس امامها فيما بدا التركيز يتحكـ
بكل ملامحه.
«ضعي يدك باسترخاء قرب الجذع، اجل
هكذا.»
باسترخاء! كيف بإمكانه الاعتقاد انها قادرة عل
الاسترخاء ولو للحظة واحدة؟ ثم تابع:«فيما الي
الأخرى تمسك بالأزهار في حضنك... هكذا.
قطب فجأة قائلا:«لماذا سرحت شعرك؟»
«اردته ان يكون مرتبا بالطبع.»
ردد:«مرتبا.» ونظر الى السماء ثم تابع:«
تتحركي.» وتغلغلت اصابعه عابثة في شعرهـ
جاذبة خصلاته الى ما حول وجهها وقال:«هـ
افضل.»
«لكني لا...»
كان محقا، لقد اصبحت بالفعل مجرد ظلا
وأضواء ومادة للرسم له، حتى ولو جلست امام
شبه عارية لما اختلفت عن أي فتاة اخرى أمام
عنفت نفسها على هكذا تفكير.
قالت له وهو ينظر اليها من البعيد بإعجاب:«ظننت
سترسم الرأس والكتفين فقط.»
اجابها بتودد:«هذا ما ظننته بدوري، لكن ذل
سيكون خسارة كبرى.»
سألت بشك:«لِمَ؟»

قوامك الجميل بالطبع، حسناً، انظري إليّ.»
مرها فرفعت عينيها إليه بتردد وسمعته
تابع:«الآن ادخلي الى اعماقك، وفكري بما
شئت.»
وتسلل المنظر الى اعماقها وهي مستلقية وسط
لأزهار وبتلاتها الملونة المخملية تلامس خدها
ناعومة فيما يقترب احد الرجال منها...
جل، هذا هو المطلوب.»
سمعت صوت نيكولا بغموض يتفوه بتلك
لكلمات. عادت لصورة خيالها وفي البداية كان
وجه الرجل المقترب منها في الظل غير واضح
لمعالم، لكنها ادركت ان الرجل ليس ريتشارد،
د، ريتشارد اين انت؟ صرخت بصمت، لكن
يكولا نهض حينها واتجه الى لوحة الرسم...
ب نسيم عليل وحرك خصلات الشعر على
جبينها من دون وعي حركت ساقها قليلا وشعرت
م في عضلاتها بعد ساعات من البقاء على
ض الوضعية الساكنة ونظرت إلى نيكولا.
ن غارقا كليا في الرسم، تماما كما كان حاله
طيلة الوقت وتقطيبة التركيز ظاهرة على جبينه،
من مكانها وحيث كانت الظلال وضوء الشمس
ت ينير وجهه بدا اصغر سنا، لربما اصغر
ت بثماني سنوات. فيما نظرت إليه وعادت

بالذاكرة الى الوراء سقطت على جبينه خصلة شعر سوداء فيما هو ينحني لتناول شيئ ما من حقيبته الملقاة على الارض.

تمنت ريبيكا لو كان بإمكانها الاقتراب منه وإبعاد تلك الخصلة عن جبينه ومسح خطوط التركيز تلك عن جبينه. وجالت نظراتها الى كتفيه وشعرت بشيء ما يعتصر داخلها وتسارعت نبضات قلبها.

اعتراها ذعر مفاجيء، ما الذي تفعله او تفكر فيه؟ بعد كلماته القاسية في المقهى تعتبر هكذا تخيلات آخر ما تتمنى مجرد التفكير فيه.

تململت بمكانها لا إراديا وسمعت صوته المعنف قائلا:«إبق ساكنة.»

حاولت يائسة لإجبار عقلها على التشبث بشيء واقعي لذا سألته:«أي من الرسامين تفضل باستثناء نفسك بالطبع.»

ابتسم قائلا:«لا اعجب بنفسي معظم الاحيان فقط احيانا اشعر بنصف رضى عما ارسم وأنت أي من الرسامين تفضلين؟»

«لا اعرف الكثير عن الرسم لكني احب فان غوغ لأنه يستعمل كل تلك الألوان والانحناءات المذهلة، لدي نسخة عن لوحته حيث هناك قبرة تطير فوق حقل ذرة، بإمكانك الشعور بالريا

تعبث بأكواز الذرة وسماع صوت القبرة منبعثاً من طيات اللوحة. النظر الى تلك اللوحة يفرحني حتى في أيام الحزن.» ابتسمت له لكنه لم يبادلها الابتسام.

قال برقة:«لكن بالطبع بخطبتك الى مدير مصرف شاب وبوجود خطط مستقبلية شديدة الدقة لك فأنت لن تواجهي اياما حزينة.»

كان كالقطة التي تستعد للهجوم فور ارتكاب الفأر غلطة بسيطة. فأجابت قائلة:«الا يواجه الجميع ذلك؟»

اجاب:«ربما، لكن اتعرفين يا ريبيكا، لقد نضجت وأصبحت امرأة مليئة بالتناقضات.»

ما الذي يرمي إليه الآن؟ تساءلت ريبيكا في نفسها وسألته:«ماذا تقصد؟»

«الدور البارد الذي تلعبينه...»

«ليس هذا بدور تمثيلي، وعلى كل حال...»

«لكنك رغم ذلك اغرمت بلوحة الصحراء خاصتي والآن تخبريني انك تجدين رسم فان غوغ لا يقاوم. هذا مزيج غريب، قوي، مزيج من الجليد والنار.»

قالت:«هذا هراء.» وأجبرت نفسها على الضحك باستهتار وتابعت:«لمجرد اعجابي بلوحة جميلة.» وأشاحت بوجهها بعيدا عنه...

قال اخيراً:«يكفي هذا.» ووضع الفرشاة جانباً ثم تمطى باسترخاء.
ساعدها على النهوض وسألها:«هل انت بخير؟»
اجابت وهي ترى الارهاق واضحاً على كل ملامحه:«اظن ذلك.» وشعرت بالتعب في كل انحاء جسمها جراء جلستها الطويلة.
سألته:«هل انت قاسٍ دوما هكذا مع عارضاتك؟»
قال برقة:«ليس دوماً.»
وتساءلت ريبيكا عما إذا كان يفكر بإيلينا؟
تبا لإيلينا وتبا لنيكولا قالت لنفسها بحنق وهي تتجه الى المنزل تاركة إياه يجمع اغراضه.
كانت في المطبخ تضع أزهارها في المزهرية حين وصل. قال:«لا داع لتزعجي نفسك بها، فستحتاجين الى باقة اخرى غدا.»
«غدا؟ ألم تنتهي من اللوحة اليوم؟»
«بالطبع لا، لقد رسمت الخطوط الاساسية فقط.»
إذن سيكون هناك المزيد من جلسات الرسم في بستان الزيتون، المزيد من ساعات التفكير المر...
«ايمكنني رؤية ما رسمته حتى الآن؟»

«لا، ليس قبل ان انتهي تماماً، وفقط بحال سمحت لي ما رسمته.»
«هل أبدأ بتحضير الطعام؟»
استدار إليها قائلا:«لا داع لذلك. فأنا ارغب بتناول الطعام في المقهى.»
«آه، إذن سيفتح المقهى الليلة؟»
«هذا محتمل. سأذهب للاستحمام والحلاقة.» مرر يده في شعره الكثيف وسألها بإغاظة:«انا بحاجة لذلك، الا تعتقدين؟ أم لربما انت تفضلينني هكذا؟»
قالت بكبرياء:«لا اكترث البتة لأي من الأمرين.» اكتفى بالابتسام بخبث قبل ان يغادر الغرفة.
انتظرت في غرفتها لحين سماعها صوت باب الحمام يفتح ثم صوت باب غرفته يغلق خلفه، خرجت الى الممر وشاهدت أثار قدميه الرطبتين على الارض الخشبية وتنشقت رائحة عطره المميز العابق في المكان.
استمتعت بهذه الرائحة للحظات ثم هزت رأسها ودخلت الحمام.
حين خرجت الى الشرفة وجدته جالساً على الدرجات وقد ارتدى قميصا ابيض اللون وبنطالا رماديا وكان يسند ذقنه بين يديه ويتأمل المنظر أمامه، توقفت عند عتبة الدار غير راغبة

بإزعاجه لكنه دون شك سمع وقع خطاها لأنه استدار ونهض.
وقف ينظر إليها للحظات طويلة وندمت هي على ارتدائها هذا الثوب بالذات.
نقل بصره من رأسها حتى اخمص قدميها ببطء شديد ثم رفع نظره الى وجهها ثانية والتقت عيونهما وبرقت بشيء، جعل الهواء كالتيار الكهربائي بينهما للحظاتٍ طويلة قبل ان تنطفىء جذوة ذاك البريق مجددا.
قالت بقلق:«انه بالغ الأناقة نسبة الى المقهى، أليس كذلك؟» ورفعت يدها بعصبية الى شعرها المنسدل على كتفيها.
اجابها:«لا.» بصوت اوحى اليها انه بالكاد سمعها. «لأن بإمكاني تبديله ان كان كذلك.»
تمنت لو انها ارتدت البنطال والكنزة الزرقاء بدل ارتداء هذا الفستان الزهري ذي الياقة المنخفضة والقصير الذي يظهر جمال وتناسق قوامها.
تابع:«لا، لا تبدليه.» وهو يرميها بنظرة مرحة. «وما رأي ريتشارد بهذا الفستان؟»
ترددت قليلا:«حسنا...» ودفعتها صراحتها لقول الحقيقة، فتابعت:«في الواقع هو لم يرهِ بعد.»
«إذن انت ترتدينه لي انا شخصيا، اشعر بالإطراء.»

ردت بجرأة:«لا، بالطبع لا افعل. الحقيقة ببساطة انني اشتريته فور رؤيتي له وقبل مجيئي الى هنا بساعات، رأيته فأحببته فاشتريته.»
«اشتريته فور رؤيتك له؟ لكن لا يسمح مدير مصرف متزمت بشراء الاشياء بعفوية سريعة هكذا، كما ولا يسمح ان تكون زوجته فاتنة هكذا. حرير زهري يلامس جسد امرأة بنعومة أو...»
قاطعته بصوت مرتفع:«هلا ذهبنا؟ انا اشعر بالجوع.»
كان المقهى الصغير شبه مختف بين اشجار الزيتون، ومحتشدا بالزبائن، ويضج بالأصوات.
تمنت ريبيكا للحظة لو انهما بقيا في الفيلا. لكن ذلك كان ليعني وجبة طعام حميمية أخرى لذا فالافضل لها المجيء الى هنا.
فور دخولهما المكان اشارت مجموعة من الشبان لنيكولا الذي قال لها:«اجلسي هنا، لن اتغيب سوى للحظات.» وذهب لملاقاة من ناداه.
احضرت لها نادلة شابة قائمة الطعام فتظاهرت ريبيكا بقراءتها بعد ذهاب الفتاة لكنها في الواقع كانت تراقب نيكولا من اعلاها، وشعرت بنفسها تحسده على سعادته الدائمة، ففور وصوله الى مجموعة اصدقائه اضحى هو مركز الاهتمام

والضحكات والتربيت على الكتف. لا بد ان هذا رائعا. وتساءلت هل تمتع والداها يوما بالسعادة الحقيقية، وهل تمتع بها ريتشارد؟ ردت على نفسها بغضب ان لا بد وقد حصل ذلك، كيف بإمكانها ان تكون عديمة الوفاء لثلاثتهم هكذا؟ الأمر فقط ان سعادتهم تكمن في اشياء اخرى وبطرق مختلفة، طبيعة نيكولا الحيوية والعفوية جيدة الآن كونه في بداية الثلاثينات لكن ماذا عن المستقبل؟ هل سيبقى سعيداً هكذا بحياته غير المسؤولة هذه؟

كان حقا كجدها ذاك الهيبي العجوز، كما كان يحلو لوالدها نعته. وهنا في هذا المقهى بالذات، قام جدها بذاك الرهان الذي اوصلها الى الورطة التي تتخبط بها الآن. لا، لوالديها ولريتشارد عمقاً وثباتا لن يحظى بهما نيكولا ابدا...

جلس على الكرسي امامها وقال:«آسف لتركك بمفردك، لكني اعرف جيورجيو ذاك الذي يضع قميص جامعة هارفورد الأزرق منذ كان بمثل هذا الطول، وهذه... ماذا يسمونها ليلة وداع العزوبية خاصته، فهو سيتزوج في الغد.»

قالت بصدق:«هيا اذهب وانضم إليهم. حقاً لا مانع لدي بذلك...»

قاطعها:«صه.» وهو ينحني الى الامام واضعاً

اصبعه على شفتيها برقة وتابع:«الآن، ماذا تريدين ان تأكلي؟»

سألت بغباء:«ماذا؟» فيما لا زالت تشعر بضغط اصابعه على فمها. تابعت:«سآخذ سلطة يونانية ثم طبق موساكا من فضلك.»

فيما هما يحتسيان القهوة اليونانية لاحظت ريبيكا ان الساحة وسط المقهى قد افرغت من الطاولات. وجلست على طرفها فرقة موسيقية بدأت العزف فورا وهرع الى الساحة عددا من الشبان والشابات للرقص.

كانت الرقصة عبارة عن الدبكة اليونانية الشهيرة، اخذت ريبيكا تراقب الراقصين باستمتاع حين اشار احدهم لنيكولا بالانضمام إليهم فهز كتفيه وابتسم لها قبل ان ينضم للراقصين.

ادارت ريبيكا نظرها في المكان للحظة ووجدت مجموعة من الفتيات الانكليزيات جالسات الى إحدى الطاولات القريبة منها، ووجدت بذهول ان انظارهن مثبتة على الراقصين، لا، ليس على كل الراقصين بل على نيكولا بالذات، عيون نهمة، جشعة وعفوية، شعرت ريبيكا بالخجل الشديد، فلا يفترض بمطلق امرأة النظر الى الرجل بتلك الطريقة.

كانت الموسيقى هادئة بالبداية والرجال يتحركون

مع وقع النغمات الشرقية الهادئة التي لم تلبث ان ازدادت قوة وحدة، وجدت ريبيكا نفسها تحدق بنيكولا وحده وتتمايل داخليا مع حركة صدره وساقيه.

عادت تلك الخصلة المتمردة لتنسدل على جبينه وهو يحرك رأسه مع الموسيقى التي اصبحت صاخبة الآن. لم تعد ترى احدا إلا هو، ولم تعد عيناها تتأملان الا حركاته وتمايله، ومرت لحظات طويلة قبل ان تدرك انها تنظر إليه، وإليه وحده بنهم وشجع وإغواء...

الفصل السادس

هل جنت تماماً بالفعل؟ عضت على شفتها لكنها اطلقت تنهيدة تعاسة رغماً عنها، تلك الاحلام في بستان الزيتون صباحا والآن هذا، بعد يوم واحد من وصولها الى اليونان ها هي ابنة الرابع والعشرين ربيعا الهادئة الواثقة تتصرف كالمراهقة الواقعة في الحب الجامح. أهذا هو الوضع؟ هل هي تحيا مجددا عذاب ما قبل ثماني سنوات؟ ولأجل الرجل ذاته؟ مهما كان ما تمر به فعليها كبح جماح هكذا عواطف هدامة وبسرعة.

انتبهت ان الموسيقى تغيرت وأنها لم تعد رقصة الدبكة. وشاهدت شابين من مجموعة اصدقاء نيكولا يتجهان الى طاولة الفتيات الانكليزيات فيما كان نيكولا يتحدث الى العريس صديقه. فيما حدقت هي به استدار فجأة وكأنه شعر بأنها تنظر إليه ونظر مباشرة إليها. ثم ربت على ظهر العريس وتركه عائدا إليها.

وقف امامها وتلك الابتسامة التي بدأت تعتاد عليها تلون وجهه ومد لها يده قائلا:«تعالي لترقص.»

كانت كلماته امراً اكثر منها طلباً مهذباً لكنها تقلصت على كرسيها. تراقص نيكولا على انغام موسيقى حالمة؟

«لا، شكرا، لا أرغب بذلك.»

لكنه كان يشدها وهي تتكلم وأحاط خصرها بذراعه وسحبها الى ساحة الرقص متجاهلا رفضها. رأت ريبيكا عيون الانكليزيات الحاسدة وهن ينظرن اليها لكن ذلك لم يساعدها على تهدئة اعصابها.

ظلت مشدودة الاعصاب في البداية، مصممة على عدم الاستسلام ومراقصته، لكن ذلك استمر للحظات قصيرة فقط، فمع الموسيقى وضغط اصابعه على ظهرها وجدت جسدها يلين ويميل مع كل حركة من حركاته.

كان نيكولا يقربها منه مع كل حركة وفي النهاية غمرتها تلك الموجة الساحرة ووجدت نفسها تستمتع بمراقصته وبالمشاعر التي كان يثيرها قربه منها. وحين توقفت الموسيقى ظلت مكانها للحظات تحدق به ثم اعادتها اصوات الضحكات والاحاديث حولهما الى الواقع فانتزعت نفسها وابتعدت عن ذراعيه.

«سوف... سوف اغادر الآن فأنا متعبة جداً. لكن إبق انت هنا من فضلك.»

انطلقت خارج المقهى وكادت تتعثر بالحصى. لكن فور وصولها الى الطريق المؤدي الى الفيللا سمعت صوته خلفها يناديها فاضطرت لتخفيف سرعة خطاها ولحظات كان قربها.

قال وهو يناولها حقيبتها:«نسيت هذه.»

ردت بتلعثم:«شكرا لك. لكن لم يكن من داع لإزعاج نفسك بهذا،كان بإمكانك اعطائي إياها صباحا.»

لا بأس فقد اردت المغادرة انا بدوري.»

وضع ذراعه بخفة حول كتفيها وتركته يقودها عبر الممر. كان هواء الليل الدافىء يشعل كل حواسها فيما رائحة ازهار الياسمين تدغدغ انفها بامتزاجها مع رائحة عطر ما بعد الحلاقة خاصته.

حين اوشكا على دخول المنزل اخذ طائر ما بالتغريد، كان تغريده بالغ العذوبة لدرجة ان ريبيكا حبست انفاسها.

سألته:«ما هذا الطائر؟»

اجاب:«انه عندليب، لا بد انه على شجرة الزيتون تلك.» دفعها برفق نحو مصدر الصوت ووقفا تحت الشجرة فيما غناء العندليب فوقهما يغرقهما بالألحان العذبة. لكن اخيرا علا نباح كلب ما في القرية فسارع العندليب بالرفرفة بعيدا.

قالت:«كان ذلك رائعاً.» وهي لا تزال تحت سحر روعة ذلك العندليب.

«هناك العديد من طيور العندليب على الجزيرة،ألم يسبق لك سماع غناء احدهم في الماضي؟»

اجابته:«ربما.. لا اذكر.» لكن أي شيء ما كان ليضاهي روعة استماعها للتغريد هذه الليلة ونيكولا الى جانبها. فيما استدارت استعدادا للعودة الى المنزل اشتدت ذراعه حولها وأدارها لمواجهته. كان وجهه قريبا منها وأنفاسه تلامس بشرتها.

قال:«ريبيكا.» وحتى صوته اضاف سحراً الى سحر الليل وحين لامس بأصابعه شفتيها ارتعشت بشدة.

«لا، لا يا نكيولاس، ارجوك.» انهت جملتها بتوسل باك وهي تجاهد لتتحرر من قبضته:«ارجوك، اتركني.»

حدقت به والتمعت دموعها على وجنتيها فمسحها بإبهامه. وكرر:«ريبيكا، يمكنك الهروب مني هذه الليلة. سأسمح لك ان تفعلي ذلك.» وترك معصمها متابعا:«لكن كلانا يعرف، انها مسألة وقت فقط قبل ان تتوقفي عن مقاومةما هو حتمي بيننا.»

«لا.»

«بلى يا حلوتي، كان هذا موجوداً بيننا قبل ثماني سنوات حين كنت طفلة وما زال موجودا الآن وأنت امرأة وهذا اكيد كشروق شمس الصباح فوق التلال غدا، قريبا جدا ستستسلمين، سترحبين بي وستريدينني بالمقدار ذاته الذي اريدك به.»

وقف هناك ولم يحاول لمسها لكنها شعرت بوجود قوة داكنة في داخله تواجه إرادته بإرادتها. شعرت بتلك القوة تحيط بها،تخل توازنها تغرقها وتشل مقاومتها. لكنها لن تشل، لن تستسلم. تسلحت بآخر رمق من قوتها وتراجعت خطوتين عنه رافعة يديها لمقاومة تلك القوة.

قالت بحرارة:«لا، قلت لك لا. لا اريدك لم اردك يوما ولن اريدك يوما.» وسارت من امامه وتوجهت الى المنزل.

كانت في غرفتها حين سمعته يصل فيما تسمرت مكانها وعيناها على الباب سمعت صوت وقع خطاه. فتح بابا وأغلقه ثم فتح آخر وبعدها ساد الصمت، تنهدت بارتياح وتناولت قميص نومها لتبدل ملابسها.

مر وقت بلا نهاية وهي تحدق بالقمر في الخارج عبر نافذتها. ألقت نظرة على الساعة قربها فوجدتها الواحدة والنصف ليلا. النوم يجافيها والحرارة تكاد تخنقها، رفعت عنها الغطاء

الخفيف ونهضت عن السرير. عليها استنشاق الهواء النقي وإلا اختنقت.
وضعت عليها رداءها وفتحت الباب بهدوء وتسللت للخارج. كان الصمت يلف كل شيء، اخيرا كان احدهم مستغرقا بنوم عميق. خرجت الى الشرفة ثم انتعلت حذاءها الرياضي الخفيف وسارت الى الخارج.
فور وصولها الى الشاطىء ظهر القمر من خلف الغيمة التي كانت تخفيه مرسلا ضوءه الفضي على الرمال، ضمت ذراعها الى بعضهما وسارت ببطء على الرمال بقدميها العاريتين بعد ان نزعت حذاءها، سارت الى طرف المياه حيث انغرزت قدماها في الرمل الرطب ومياه البحر الباردة ترسل فيها الانتعاش.
في ليلة اثناء ذلك الصيف البعيد لم تكن قادرة على النوم جراء تفكيرها في الرجل ذاته، وقد اتت الى الشاطىء هذا حينذاك وبعفوية لا إرادية اخذت تسبح في المياه تظن ان ذاك التصرف كان العمل المندفع الوحيد الذي قامت به في حياتها، وأحيانا اخرى تعتقد ان تلك السباحة كانت من نسيج خيالها وانها لم تحدث يوما...
في انكلترا عادت مرة والدتها من رحلة تسوق ووجدتها جالسة تحت اشعة الشمس

في حديقتهم الخلفية المخفية عن الانظار. تنهدت والدتها حينها وهزت رأسها قائلة:«لم تفدك تلك العطلة في اليونان اطلاقا، فأنت لم تفعلي شيئا منذ عودتك من هناك الا التسكع دون أي عمل، ما كان يجدر بنا السماح لك بالذهاب الى هناك اصلا.»
لم يرتكبا الخطأ ذاته في الصيف التالي طبعاً، وبعد ذلك تركت هي المدرسة وعملت في المصرف وهناك قابلت ريتشارد...
حدقت ريبيكا بالمياه حول قدميها ثم فجأة وبحركة لا شعورية نزعت عنها رداءها وغطست في المياه دون ان تسمح لنفسها بدقيقة للتفكير. اخذت نفسا عميقا وغطست في العمق وأخذت تسبح بقوة وكأنها تطرد شيئا ما من عقلها ثم استلقت على ظهرها والسعادة تغمرها لبرودة المياه، حدقت بالسماء المزينة بآلاف النجوم في الاعلى.
سبق وأخبرها جدها انه تحت هذه النجوم ذاتها اغرم باريس، أمير طروادة، بحب هيلين وحطم مملكته كلها لأجلها، الارجح ان جدها كان على حق، فبإمكانك القيام بأشياء مجنونة تحت هكذا نجوم وفقدان كل ذرة تعقل لديك بسهولة.
عادت للسباحة نحو الشاطىء لكنها تسمرت

مكانها بذهول لرؤيتها اقتراب احدهم منها من بين اشجار الصنوبر.
ظلت مكانها ورأت نيكولا ينزع رداءه ويحدق بالمياه للحظة فيما ضوء القمر يلقي بظلاله على وجهه قبل ان يغطس بالمياه ويبدأ بالسباحة.
ادركت انه لم يرها، فهي كانت بعيدة عن مجال نظره. إذا بقيت دون حراك لحين ابتعاده فسيمكنها السباحة بهدوء الى الشاطئ ثم العودة الى المنزل بسرية.
لكن شيئا ما حدث بتلك اللحظة، لعلها سمكة التي لامست ساقها؟ صاحت ريبيكا لا إراديا بصوت خافت لكن ذلك كان كافيا ليسمعها.
«ريبيكا؟ أهذه انت؟»
«اجل... لا، ابتعد.» بدأت بالذعر حين وجدته يقترب منها. كان يعوم بطريقة سريعة وقوية ادركت ان لا مجال امامها للهروب منه الآن.
حين وصل الى جانبها اخيرا كان شعره رطبا وعيناه تبرقان بقوة.
سألها بقسوة:«ما الذي تفعلينه هنا بمفردك؟»
«لم استطع النوم.»
«حسنا، حين تعانين ثانية من الارق فالأجدى بك التنزه.»
قالت بعناد يخفي ما بداخلها من ذعر:«سأفعل

ما يحلو لي.»
ليس طالما وانت تحت سقف منزلي.»
ردت بغضب:«لست تحت سقف منزلك وعلى كل حال ما الذي تفعله انت باللحاق بي هكذا؟»
لم أعلم يا عزيزتي انك هنا، وإلا لما ازعجت نفسي بالمجيء. حين ابدأ الرسم اشعر برغبة في التحرر والانطلاق الى البعيد بمفردي.»
حسنا، كن ضيفي إذن، فأنا يسرني تركك بسلام.» أدارت ظهرها له وأخذت تسبح باتجاه الشرق.
كانت قد ابتعدت انشات قليلة فقط حين امسك معصمها بقوة وأجبرها على التوقف بعد ان غطس رأسها في الماء وأخذت تسعل باختناق.
اتركني...»
صمتي، ان لم تعودي الى الشاطئ بنفسك فساعيدك بنفسي.»
فيما صارعت هي بذعر لتتخلص من قبضته فشلت محاولاتها وأخذ يسحبها الى الشاطئ وقبضته حول معصمها كالحديد. وصلا الى مياه الضحلة.
صاحت:«لا، اتركني.» وأفلتت معصمها من يده فشدها بقوة إليه.
لي يا حلوتي.»

شبكة ليلاس الثقافية
www.liilas.com

«لا.»
فجأة تراءى لها وجه ريتشارد! ما الذي تفعله بخيانتها له هكذا؟ غمرها الخجل والذل.
«لا، لا يا نيكولا، ارجوك... لا أريد...»
شيء ما في رعب صوتها تسلل إليه فرفع رأسه ونظر إليها.
وضعت يدها على فمها وتابعت:آسفة... لكني لا استطيع.» ارتعشت بشدة وتابعت:«ريتشارد...»
ثم غرقت في بكاء حار.
حملها نيكولا بين ذراعيه، قاومت ذلك بالبداية لكنها في النهاية استسلمت له وتركته يمسد شعرها كالطفلة وهي تشهق بدموعها، ومرت الدقائق وتحول نحيبها الى بكاء خفيف وهادىء.
ابعدها قليلاً عنه ونظر الى وجهها الرطب وسألها بأنفاس متقطعة:«هل انت بخير الآن؟»
ردت بارتباك:«اجل.»
«لم تكون كذلك.»
وشدها مجدداً الى صدره فهمست:«آسفة انا المذنبة في هذا.»
«هذا لم يكن ذنب احد. ولم يكن ذنبك انت بالتأكيد.» شدها إليه ثم عاد ليتركها.
قال بجفاف:«لربما هذا لن يكون حكيماً.»

شعرت باختفاء حدة التوتر منه وتابع:«انتظري لحظة.»
استقام وذهب الى حيث رداءه ورداءها وجلبهما.
«نهضي.»
بتسم بخفة لها لكنها لم تستطع مبادلته لابتسام.
كان شعرها مبللاً ومنسدلاً حول وجهها خصلات رطبة فتمتم:«تبدين كحورية، حورية صغيرة وحيدة لا تعرف تماما ما الذي يحدث لها.» وجمع خصلات شعرها واضعا المنشفة حول رأسها.
فيما حدقت هي به بصمت ابتسم لها وقال:«لا تقلقي، انا لن اهجم عليك مجددا. الليلة ليست ليلتنا.»
لا. ليس الليلة، لكن سيكون هناك ليال اخرى، ليال يونانية حارة سحرية، خائنة وعفوية تدفعها لتصرف بطريقة غريبة كليا عليها...
قال:«آه يا ريبيكا.» وهو يهز رأسه متابعاً:«ما الذي أتى بك الى هنا هذه الليلة؟»
قالت بصوت مرتعش:«اخبرتك، لم استطع النوم... اظن السبب هو احتسائي القهوة في المقهى، فهي اقوى مما انا معتادة عليه.»
قال وكأنه يوافقها على كذبها:«طبعا.»

شبكة ليلاس الثقافية
www.liilas.com

قالت بسرعة:«إبق هنا وتمتع بالسباحة بوسعي العودة وحدي الى المنزل... بوسعي ذلك حقا.»
تردد وخشيت للحظة الا يوافقها لكنه عاد وهز كتفيه قائلا:«لك ما شئت.»
بوصولها الى سور الصنوبر استدارت ونظرت إليه. كان نيكولا يخلع رداءه مجددا استعدادا للعودة الى السباحة، ظلت واقفة مكانها للحظة ثم استدارت وسارت بسرعة الى المنزل.

الفصل السابع

هيا انهضي.»
وفيما ازيحت الستارة عن النافذة وغمر ضوء الشمس الغرفة استيقظت ريبيكا من حلم مزعج، كانت ضائعة في وسط ضباب مخيف وكلما حاولت الهروب منه كان يقف في طريقها رجلا رائع البنية بشعر اسود كثيف وعينين زرقاوين ساكنتين.
فتحت عينيها فامتزج الحلم بالحقيقة حين وجدت نيكولا قرب سريرها.
ردد:«قلت لك انهضي. هناك عمل علينا انجازه.»
سألت نفسها: اين هي رقة أمس؟ لكن اين تلك العاطفة الجياشة الجامحة ايضا؟ ان كانت تلك دورها قد تبخرت فهي ترحب بمزاجه المتفجر هذا، ادارت رأسها لتنظر الى الساعة وقالت باحتجاج:«لكنها بالكاد تجاوزت السادسة صباحا.»
هذا مؤسف، الإضاءة ممتازة الآن.»
اه تبا للإضاءة وتبا لك ايضا.»
ردد بصوت جاف:«الإضاءة ممتازة الآن. لذا

اريد الذهاب الى هناك ومباشرة الرسم.»
التقت العيون بنظرة طويلة ثم قالت بصوت عذب:«حاضر ايها المستبد، اعطني عشرين دقيقة فقط.»
«عشرة.»
صاحت به وهو يغادر الغرفة:«بل عشرين.» وضربت قبضتها على وسادتها.
اتجهت نحو المطبخ بعد ربع ساعة بالضبط، قاسمة الوقت بينهما، ووجدته قد انهى احتساء فنجان قهوته.
تمتم:«في الوقت تماماً.» لكنها تجاهلته وسمعته يتابع:«هيا بنا.»
«انا لم اتناول فطوري بعد.»
رد قائلا:«ظننت نساء هذا العصر لا تتناولن الفطور.»
قالت:«آسفة لكني افعل.» وجلست وسكبت لنفسها القهوة متابعة:«وان لم تكن منتبها اكثر للهجتك فأنا لن اجلس امامك كي تكمل اللوحة اطلاقا اليوم.»
قال بسيطرة جليدية على نفسه:«آسف، لم اسمع ما قلته.»
رددت:«الم تسمع حقاً؟» وهي تحضر لنفسها سندويشا من العسل واللبن.

قال:«حبيبتي...» واهتزت يدها دون ارادتها وهي تمسح العسل على الخبز وتابع:«لا آبه لإظهار عارضاتي الغضب علي، ان كنت تعرفين ما هو الافضل لك...»
تنهد بعمق ثم مسد شعره بأصابعه وتابع:«حسناً يا ريبيكا لنعقد هدنة... على الأقل لحين انتهائي من اللوحة.»
قالت بصوت خافت:«حسناً.» وعضت على شفتها قبل ان تتابع:«لكني اعتقد فعلاً انه من الافضل... لو استأجرت غرفة في القرية.»
عادت الابتسامة الساخرة التي تعرفها الى وجهه وسأل:«ما الأمر، الا تثقين بي؟»
لا، لا اثق بك ولا اثق بنفسي أيضاً، ترددت هذه الكلمات على طرف لسانها لكنها تدبرت أمر ردعها.
ردت بثقة:«بل أثق بك بالطبع، لكن فقط في حال كنت في شك من الأمر فاؤكد لك ان ما حدث لن...» احمرت وجنتاها بشدة وتابعت بارتباك:«ما حدث ليلة البارحة لن يتكرر ابداً.»
قال:«آه.» وطأطأ رأسه وكأنه تلقى معلومات بالغة الأهمية وقال:«لكنك كنت على حق، اتعرفين؟ في اليونان ايضا التملك هو تسعة اعشار القانون. وإذا غادرت الفيللا...» هز رأسه بأسف

متابعاً:«سيكون هذا بمثابة اعتراف ضمني منك ان ادعائك بملكية المكان مجرد هراء، هذا مؤسف، لقد اخبرتك انني استمتع بمقاتلة امرأة جميلة وقوية.»

«إدعائي ليس هراء وانت تعرف ذلك تماماً.» اجابت بذلك بسرعة في ظل خوفها من البقاء مع نيكولا تحت سقف واحد، لكن هذا الرعب كان يتبخر في النهار وأشعة الشمس المشرقة لكن فوق حلول الظلام كان الذعر يعود مجددا إليها. الذعر من تبخر مقاومتها ومن استسلامها لما كانت تشعر به في داخلها وحينها ما كانت تفكر في المنزل ولا للحظة واحدة. لكنها لن تستسلم في مسألة ملكية المنزل وإلا كان معنى ذلك استسلامها بكل شيء آخر.

«الليلة ليست ليلتنا.» هذا ما قاله لها مما يعني ان هناك ليال اخرى قادمة ستكون ليلتهما ضمنها... ابتلعت ريقها بصعوبة.

هل من داع لخوفها هذا؟ لقد برهن نيكولا ليلة البارحة انه ليس ممن يفرض نفسه بقوته عليها فغروره وثقته بنفسه يخبرانه ان عليه الانتظار لحين قدومها طائعة إليه ولهذا كل ما عليها فعله هو متابعة الرفض، متابعة تكرار كلمة لا، لا، لا...

قال بلطف:«يسرني اتفاقنا على هذه النقطة.» ثم فتح خزانة الطعام متابعا:«سنأخذ معنا الطعام. فهذا يوفر علينا وقت العودة الى هنا لتناول الغداء.»

راقبته ريبيكا وهو يحضر زجاجة عصير، مشمش، خبز، جبنة ثم احضر خضار السلطة. خيار، بندورة، بصل، زيتون وخضار طازجة، تم تقطيع كل شيء بمهارة ثم وضع كل شيء في وعاء وأضافه الى محتويات السلة.

وجدت نفسها تحدق بيدي نيكولا، يداه ناعمتان وجميلتان لا تظهران ان صاحبهما يقوم ببعض الاعمال الصعبة كقيادة الدراجات النارية وحلب الماعز حين لا يبيع لوحاته.

بوصولها الى بستان الزيتون. قطفت ريبيكا باقة اخرى من الأزهار فيما كان نيكولا يجهز عدته. ثبتها في الوضع ذاته الذي كانت عليه في اليوم السابق.

سأل بحنق:«تباً، ما الذي فعلته بشعرك؟» وهو يمسد شعرها بقوة ألمتها.

قالت من دون ان تنظر إليه:«تبلل بالماء ليلة البارحة. ولم يتسن لي الوقت لغسله هذا الصباح، اتذكر؟ سأذهب وأغسله ان شئت.»

قال بامتعاض:«لا، لا تزعجي نفسك بذلك.

سيفي بالغرض.» ذهب الى لوحة الرسم وتابع:«حسنا، لنحظى بنفس تعبير البارحة.» كلا، هذا لن يحدث، فهي لن تسمح لتلك الخيالات الخائنة بالعودة إليها، لكن حين قطب نيكولا وضرب بريشته على ساقه، استسلمت مجددا للأزهار والروائح ولسحر المكان...

* * *

نظرت إليه عبر طاولة العشاء من تحت رموشها. لم يكن من داع لسرية النظرة تلك فهو اصلا كان يحدق بخشب الطاولة كما كان حاله منذ بداية العشاء والتقطيب يعلو جبهته.
تنهدت في داخلها، انها تواجه هذا الوجه الصامت المتجهم من شخصية نيكولا منذ الظهيرة، هذه الشخصية الغامضة المعقدة، المزاجية والتي يصعب التكهن بتصرفاتها.
وارتعشت داخليا حين تذكرت صراخه بها حين حركت ساقها للحظة اثناء الرسم وقد اخافها غضبه ذاك والزمها الصمت منذ ذلك الحين.
كان الآن يحرك السكر في فنجان قهوته وحركة الملعقة الرتيبة تلعب على أوتار اعصابها لدرجة انها شعرت برغبة في انتزاع الملعقة من يده ورمي الفنجان بعيدا عن الشرفة.

رفع نظره اليها بتلك اللحظة وأرجع كرسيه للخلف ثم نهض.
«الى اين انت ذاهب؟»
«لمتابعة عملي بالتأكيد.»
«تقصد متابعة لوحتي؟»
«وماذا غير ذلك؟»
«لكنك عملت عليها بما يكفي اليوم.» وأضافت لنفسها، والتعب والإرهاق يبدوان بوضوح عليك. لكنها لم تستطع النطق بذلك فتابعت:«أليس من الافضل لك لو بدأت بنشاط...؟» لم تتابع جملتها حين شاهدت التعابير القاسية على وجهه.
«افترضت انك ترغبين بأخذها معك الى خطيبك ريتشارد عندما تسافرين.»
وحين رفعت نظرها إليه ازدادت حدة جفاف نبرته وهو يتابع:«لديك فرصة لمدة اسبوعين فقط من المصرف، اتذكرين؟ ومما اعرفه عن المصارف فهي تتمسك بشدة بفترة العطلات المحددة، ولا اظن من الملائم لزوجة مدير المصرف الشاب التسكع في جزيرة يونانية. فهذا قد يعطي انطباعا خاطئا كليا.» تلاعبت سخريته بأعصابها المتوترة. وهو يكمل:«وأيضا اتساءل ما الذي سيقوله ريتشارد العزيز بذاته؟»
قالت:«قلت لك اترك ريتشارد خارج هذا الأمر،

هلا فعلت؟» وضربت قبضتها على الطاولة أمامها.

«بكل سرور.» ثم تابع:«اشعر بالفضول لمقابلته ولرؤية الاتجاه الذي سلكه ذوقك فقط.»

رسمت ابتسامة احتقار على شفتيها وقالت:«لن أرد على هذا يا نيكولا، لمجرد انك في مزاج سيء منذ الصباح وتحاول اطلاق غضبك عليّ وإغاظتي.. إهاناتك تجعل اعصابي باردة وجليدية.»

ردد بسخرية:«باردة. ما كنت لأتفوه بكلمة أدق من تلك يا حلوتي، اجل ارغب بمعرفة نوع الرجل الذي وجدته مناسبا كشريك لحياتك.»

قالت وهي تنهض:«لست مضطرة للاستماع لهذا.» وهي تنهض من مكانها بقوة جعلت الكرسي يندفع ارضا مصدرا ضجة كبيرة، ثم سارعت الى غرفتها.

بعد وقت قصير خرجت من غرفتها، لم تجده على الشرفة وكان مزاجها لا زال متفجرا فسارت مغادرة المنزل الى المقهى.

مرت من جانب مجموعة من السياح وهي متجهة الى كشك الهاتف الذي شاهدته ليلة البارحة. دخلت الكشك واتكأت الى الباب لتهدىء من روعها ولتستعيد انفاسها قبل اتصالها بوالدتها.

فيما وضعت يدها على سماعة الهاتف ترددت وعضت على شفتها. عليها فعلا محادثة ريتشارد، فقد وعدته بذلك. لكن اعصابها كانت لا تزال متوترة جراء مزاج نيكولا السيء هذا اليوم وجراء إذلاله ليلة البارحة وهي تعلم ان ريتشارد سيكون غاضبا. لا، ستكلم والديها وتخبرهما بالأمر ولينقلاه له بمعرفتهما.

لكن فكرة ردة فعلهما جعلتها تتردد للحظة لكنها عادت واستجمعت قواها وطلبت الرقم. فرغم كل شيء، القرار الذي توصلت إليه بعد تفكيره طويل طيلة النهار هو قرار صائب لن يجبرها أحد على تبديل رأيها. انها لم تطلع نيكولا على قرارها بعد فهي لم ترغب برؤية بريق الانتصار في عينيه.

تم الاتصال سريعاً وكانت ريبيكا غارقة في افكارها حين قاطعها صوت والدتها:«ألو نعم.»

أمي، هذه انا ريبيكا.»

اهلا حبيبتي، كيف حالك؟»

انا بخير شكرا لك.»

وماذا بشأن الفيللا. آمل الا تكوني واجهتي المشاكل بسببها.»

ليس تماما...» بدأت ريبيكا كلامها لكن والدتها قاطعتها قائلة:«عليك الانتباه والتشبث

برأيك حيال ذلك المحامي اليوناني كما تعلمين، جميعهم متشابهين وخصوصا حين يتعاملون مع فتاة وحيدة، قلت لك كان عليك السماح لوالدك او لريتشارد بمرافقتك...»

«لا يا أمي، كل شيء بخير.» اخذت نفساً عميقاً ثم تابعت:«الموضوع يا أمي انه...»

«على كل حال اظنك راغبة بالتحدث الى ريتشارد الآن.»

رددت ريبيكا بغباء:«ريتشارد؟»

قالت والدتها:«اجل، بالطبع يا حبيبتي.» وضحكت بخفة متابعة:«لقد نسيت أليس كذلك؟ اليوم هو الخميس وريتشارد هنا يلعب شطرنج مع الطبيب ونتر، سأناديه.»

«لا، ارجوك لا تفعلي.» سارعت ريبيكا للقول:«انظري عليّ اطلاعك على أمر ما.»

قالت والدتها:«لكن ريبيكا...» وقد ارتفعت حدة صوتها:«لا يعقل انك تقصدين هذا. انظري عليك مكالمة ريتشارد قبل قيامك بأي تصرف أحمق، يجب ان يرشدك هو الى الصواب سوف...»

«لا، لا استطيع، لقد نفدت مني الدراخما، سأتصل مجدداً..؟ ما هو اليوم؟ الخميس اجل سأتصل ثانية يوم الأحد. الى اللقاء بلغي حبي للجميع.»

اعادت السماعة الى مكانها وصوت احتجاجات والدتها يتردد في اذنيها، وقفت مكانها للحظات تفكر قبل ان تغادر المكان.

حين عادت الى المنزل كانت مصابيحه كلها مضاءة لكن لم يكن من أثر لنيكولا. لا بد انه خلد الى النوم تاركا المصابيح مضاءة لها.

دخلت المنزل بهدوء وأطفأت الاضواء بطريقها الى غرفتها لكن بوصولها الى باب الاستوديو نصف المفتوح توقفت. كان نيكولا في الداخل وظهره لها وهو يعمل على لوحته، قربه على الطاولة كان هناك مسجلة ينطلق منها لحنا ناعما لأغنية بلوز شهيرة.

كان منخرطا تماما في عمله، لذا كان من الآمن تماما لها الوقوف على عتبة الباب مراقبة اياه بصمت وقد إجتاحتها رغبة بضم ذاك الرأس الداكن مجددا الى صدرها.

ضرجت الدماء وجهها واستدارت بارتباك لتبتعد حين استدار نيكولا بدورة فجأة وسألها:«ماذا تريدين؟»

لم يحاول الاقتراب منها وحين لم تجب شتم باليونانية ثم كرر السؤال:«قلت لك ماذا تريدين؟» كانت نبرة صوته الغاضبة كالصفعة على وجهها ولحظة فكرت بالعودة الى كشك الهاتف لإخبار

والدتها انها بدلت رأيها لكن لا، ولا حتى مزاج نيكولا المتفجر هذا سيدفعها الى تغيير قرارها.
«هل استطيع رؤيتها؟» وحاولت النظر من خلفه الى اللوحة.
أجاب:«هل انت غبية أم ماذا؟ قلت لك لا، لا تستطيعين ذلك.»
«سأخلد للنوم إذن.»
«اجل، افعلي ذلك.» وحين لم تتحرك من مكانها قال:«حسناً؟»
استدارت واتجهت الى غرفتها وهي تحاول التخلص من المشاعر الغريبة التي تتملكها.

* * *

كانت تجلس خلف نيكولا على دراجته النارية بطريق العودة من القرية الى الفيلا، فقد قرر نيكولا تناول العشاء في المنزل الليلة لذا فهما بحاجة لشراء بعض الحاجيات من السوبر ماركت.
سألها نيكولا:«اتريدين اللحم المجفف أم القريدس؟»
قالت:«اظن القريدس. اعرف وصفة جيدة جداً وهي وصفة صينية.»
ابتسم قليلا لقولها ذاك فتابعت:«لذا بإمكانك

العمل في الاستوديو فيما انا احضر هذا الطبق.»
اوقف نيكولا دراجته بعنف عند وصولهما الى الفيلا وترجل عنها ثم قبل ان تلتقط انفاسها حملها بين ذراعيه وأنزلها عن الدراجة وذراعيه حول وسطها وهو يبتسم لها وأدركت ان مزاجه قد تبدل كما صارت معتادة عليه.
قال بصوت معسول:«ريبيكا؟»
«ماذا؟»
ابتسم لها قائلاً:«لا شيء مجرد ريبيكا.»
رفع يده مبعداً خصلة شعر متمردة عن جبينها، لكن فجأة نظرت عيناه الى ما خلفها وتجمدت اصابعه.
قال:«حسناً، حسناً يبدو ان لدينا رفقة.»
استدارت ريبيكا بقوة فيما نهض الرجل الذي كان جالسا على كرسي على الشرفة واقترب منهما. حدقت به بعدم تصديق ثم تفوهت بكلمة واحدة فقط بصوت مبحوح ومخنوق قائلة:«ريتشارد!»

www.liilas.com

الفصل الثامن

قال بصوت بارد:«أهلاً ريبيكا.» وحين لم يقترب منها دفعها نيكولا برفق نحو الدرجات بسخرية.

صعدت ريبيكا الدرجات وهي تشعر بالدوار ولا شعوريا رفعت يدها لتمسيد شعرها. كان ريتشارد غاضبا، غاضبا جدا، فوجهه الشاحب عادة كان متضرجا بالاحمرار وفمه ملتو بقساوة.

ادركت ان العينين الزرقاوين تنظران إليها بفضول وتراقبان لقاء الأحبة المفاجيء، لكن حين ابتسمت لريتشارد ورفعت وجهها إليه اكتفى بتقبيل خدها بسرعة بأبرد تحية، وتراجعت هي عنه.

قالت بسعادة مصطنعة واضحة:«يا للمفاجأة السارة. لكن ما الذي تفعله هنا؟»

اجاب ببرود:«ظننت السبب واضحا. بعد اتصالك غير العادي البارحة شعر والداك بالقلق الشديد عليك، لذا ورغم وجود موعد بالغ الأهمية لي هذا المساء، اضطررت للمجيء الى هنا بأول رحلة.»

قالت بانزعاج:«لكن لم يكن من داع لذلك.» اصر والدها وريتشارد في وقت سابق على عدم قدرتها على الاهتمام بمسألة وصية جدها وحدها والآن عند اول إشارة لوجود متاعب ها قد جاء احدهما الى هنا.

رد بحنق صارم:«يبدو لي ان هناك كل داع لذلك.» قبل ان تتمكن من الرد شعرت بوقوف نيكولا خلفها حاملا أكياس المشتريات.

قال نيكولا:«سآخذ هذا الى المطبخ يا ريبيكا.» ثم نظر الى ريتشارد متابعا:«ستبقى معنا لتناول العشاء طبعا.»

نظر ريتشارد إليه وإلى قميصه الأبيض والجينز القديم ثم عاد بنظره الى ريبيكا قائلا:«لربما ستقومين بواجب التعارف عزيزتي.»

قالت بتلعثم:«اجل، طبعا. ريتشارد هذا نيكولا. كيفين، نيكولا هذا ريتشارد غراي خطيبي.»

قال نيكولا بلهجة مصطنعة:«سررت لمقابلتك يا ريتشارد. اخبرتني ريبيكا الكثير عنك.»

فيما رمته بنظرة غاضبة تصافح الرجلان بعدم ود واضح، سأله ريتشارد بغضب:«انت تعيش في سكايثوس أليس كذلك؟»

ابتسم نيكولا مظهرا اسنانه الرائعة وقال:«هذا صحيح.»

«وانت جار لريبيكا، أليس كذلك؟»
رغم نظراتها المتوسلة قال:«ليس تماماً. انا اعيش هنا.»
قال ريتشارد:«آه، آسف، لا بد من وجود خطأ ما.» وهو ينظر الى ريبيكا، تابع:«هل أتيت الى المنزل الخطأ؟ بدا سائق السيارة متأكداً...»
قاطعه نيكولا بجفاف:«لا خطأ. هذه فيلا انجيليكا.»
تقلصت عينا ريتشارد وهي تنتقل من احدهما للآخر وبدأ:«لكني لا افهم...»
قاطعته ريبيكا بسرعة:«انتظر يا عزيزي. كل هذا شديد التعقيد. لنجلس وسأشرح لك.»
«صحيح، سأضع هذه المشتريات مكانها.» سألهما نيكولا ببرود:«اترغبان بكوب عصير؟ لربما شاي؟»
لكن ابتسامته لم تخدعها ورمته بنظرة غاضبة.
اجاب ريتشارد:«ليس الآن، شكراً لك.»
فطأطأ نيكولا رأسه ودخل وهو يصفر لحناً مرحاً، عندما جلست ريبيكا على الكرسي تنهدت بارتياح للياقة نيكولا على الأقل بتركها بمفردها لتشرح الوضع لريتشارد.
قال ريتشارد وهو يجلس بدوره:«الآن، لربما ستكونين طيبة كفاية لاطلاعي على ما يحدث.»

سألته بارتباك وكأنها تجهل قصده:«تقصد بخصوص إقامة نيكولا هنا؟»
اجابها بسخرية:«هذا إضافة لأشياء اخرى، أجل، مثلاً اين تقيمين؟»
قالت واللون الاحمر يضرج وجنتيها:«حسناً. في الواقع انا اقيم هنا ايضاً.»
«فهمت.»
قالت بصوت مرتفع:«لا، لم تفهم.»
«آه، هيا يا عزيزتي.» تابع بامتعاض:«تتوقعين مني التصديق إنك هنا وحدك... انا افهم انكما تقيمان هنا معاً.»
«اجل هذا صحيح.» تابعت بتردد:«لكن...»
قاطعها ريتشارد:«وأنه لم يحاول التحرش بك؟»
صاحت به ووجهها يكاد يتفجر من الغضب:«ريتشارد!»
قال باستهزاء:«اليونانيون مهووسون انهم متشابهون.»
«يا لهذا الهراء.» تابعت مجبرة نفسها على الضحك بانفعال:«لكن حتى وان حاول ذلك فأنا مخطوبة لك، أليس كذلك؟»
وفيما عادت ذكرى تلك الليلة على الشاطىء شعرت بسكين الذنب يمزقها وقفزت من مكانها فجأة متابعة:«اواثق انك لا تريد كوب عصير؟»

«واثق تماماً.» وفيما جلست بتردد ثانية تابع: «انت لم تشرحي بعد ما الذي يفعله هو هنا.»

اجابت ريبيكا بتوتر: «حسنا، كما ترى كان نيكولا هنا حين وصلت.»

«هل يقيم هنا بالقوة؟» هتف ريتشارد متابعاً: «حقاً يا ريبيكا لماذا لا تتخلصين منه؟»

«لكن الأمر ليس بهذه البساطة.»

«بل هو كذلك بالطبع. كل ما يحتاجه هؤلاء هو معاملتهم بشدة... وان لم تفعلي فأنا سأفعل، اين اقرب مركز شرطة هنا؟»

«لا، لقد اخبرتك ان الامر معقد بشدة. انه يطعن بادعائي بأحقية امتلاكي للفيلا.»

صاح ريتشارد بدهشة: «ماذا؟ لكن لا يمكنه ذلك.»

رد نيكولا: «اخشى انني قادر على ذلك.» وقد ظهر على الشرفة فجأة حاملا كوب عصير بيده وسار اليهما ثم اتكىء على حافة الشرفة.

قال ريتشارد بصوت مهني بارد: «لربما ستتلطف وتطلعني على أسس ادعائك هذا؟» وشاهدت ريبيكا الرجلين يقيّمان بعضهما البعض بنظراتهما وأدركت ان احدهما لم يعجب بالآخر.

رد نيكولا ببرود: «الأمر بكل بساطة ان

والدي ربح الفيلا برهان مع جد ريبيكا.»

ردد ريتشارد وهو يضحك بازدراء: «رهان؟ وتتوقع مني تصديق هذا؟ وما الدليل الذي تملكه على صدق هذا... الرهان؟»

«ورقة اللعب التي تحمل التوقيعين وتوقيع الشاهد على ذلك في المقهى.»

«المقهى! كنت لأعرف ذلك. ودون شك انه كان متعبا لدرجة لم يعد بها يعرف اسمه.»

انغرزت اظافر ريبيكا في راحتيها وهي تقول: «انا واثقة انه لم يكن كذلك يا ريتشارد.»

«آه، هيا الآن يا ريبيكا.» رد ريتشارد بسخرية جعلت الغضب يشتعل داخلها وتابع: «انه العجوز المعروف باستهتاره. آسف عزيزتي لكن كلانا يعرف انه كان... دون شك ضائعا ولاهيا لدرجة تمنعه من ادراك ما كان يحدث. هذا سيكون الطعن الأمثل في قضيتنا في حال وصلت هذه القضية الى قاعة المحاكم.»

كان هذا تقريبا ما سبق وقالته لنيكولا لكن سماعها ريتشارد يتفوه بذلك زاد من حنقها.

سألها ريتشارد بحدة: «وما الذي كنت تفعلينه انت بهذا الشأن؟»

«حسنا، نحن... اقصد انا... ذهبت لرؤية السيد مايكل محامي جدي.»

«وماذا قال؟»
ترددت مدركة ردة فعله الحتمية ثم قالت:«يعتقد ان له الحق بذلك.»
قال بامتعاض:«حسناً، بالطبع سيقول ذلك، لا؟ فاليونانيون يدعمون بعضهم دائما.»
رأت ريبيكا من زاوية عينها قبضة نيكولا تتكور وللحظة اعتقدته سيلكم ريتشارد بها.
كان الرجلان طويلا القامة وقويا البنية، لكن من المؤكد ان ريتشارد هو من سيلقى على أرض الشرفة الخشبية على الفور بحال وقع الاقتتال بينهما، لكنها تنفست الصعداء حين أرخى نيكولا قبضته.
قال نيكولا ببرود:«لا تزعج نفسك بهذا الموضوع. ستافروس مايكل محامي ريبيكا وليس محامي انا وهو جدير بالثقة بكل قضاياه المهنية.»
استرخت للحظة. فحسب علمها ان الضيف الزائر مكرّم ومحترم لدى اليونان ولهذا فنيكولا ما كان ليضربه اصلا.
لكن صوتاً ما بداخلها تردد ان بإمكانه ان يكون بيزنطياً بكل معنى الكلمة بحال فقد اعصابه.
تعمد ريتشارد تجاهل ملاحظة نيكولا قائلا:«يبدو لي يا عزيزتي انك اسأت معالجة هذه المسألة منذ البداية. وفيما يتعلق بالمكالمة الهاتفية

التي اجريتها انت البارحة ولو لم تقفلي الخط قبل وصولي لأتيحت لي الفرصة لمحادثتك... لأقنعك بالتخلي عن فكرتك المجنونة تلك بإلغاء مخططاتنا.»
انتقلت نظرات نيكولا من ريتشارد إليها وتشابكت عيونهما للحظة، لكنها لم تستطع معرفة ما يفكر به.«حتى مجرد التفكير ان ذلك سيعني اللعب كليا بين يدي... الخصم.»
قال ريتشارد:«حسنا. لكن اولاً بدلي ملابسك يا عزيزتي، فتلك البلوزة لا تليق بك اطلاقا. آه، وارفعي شعرك ايضاً، تبدين مثل...»
قاطعه نيكولا قائلا برقة:«تبدو مثل حورية الغابة.» مما جذب نظر الاثنين إليه.
قطب ريتشارد حاجبيه وأدركت ريبيكا حجم التوتر المسيطر بينهما فسارعت بالقول:«حسنا لن اتغيب سوى لدقيقة.»
دون ان تنظر الى نيكولا سارعت بدخول المنزل، اثناء عبورها غرفة الجلوس لفت انتباهها انعكاس صورتها في المرآة الضخمة هناك، حدقت بنفسها للحظات قصيرة مشاهدة الشعر المشعث بشكل غجري والبلوز التي شترتها بدورها باندفاع والتي كانت اكبر قليلا من مقاسها لذا كانت الياقة تتجه نحو

اليمين تارة نحو الطرف الآخر طوراً آخر.
«تبدو مثل حورية الغابة...»
حدقت بنفسها للحظة أخرى ثم تراجعت من امام المرآة وهرعت الى غرفتها.
تناولت رداءها ودخلت الحمام كي تستحم، كانت المياه باردة ومنعشة على جسدها الحار لكنها امضت دقائق قليلة تحت المياه وفيما كانت تجفف نفسها استنشقت رائحة عطر نيكولا المميز. لا بد انه نسي اغلاق الزجاجة، لكن حين فتحت الخزانة. وجدت الزجاجة محكمة الاغلاق فصفقت ريبيكا باب الخزانة. تبا له! وجوده يحتل كل المنزل لدرجة انها لن تتحرر منه ابدا...
في غرفتها سرحت شعرها ورفعته بشكل ذيل حصان، ثم ارتدت ما يحب ريتشارد وهو عبارة عن قميص أبيض قطني وتنورة بيضاء وزرقاء طويلة.
حين اغلقت باب غرفتها وصلتها اصوات حديث آتية من الاستوديو.
فهرعت الى هناك وخفق قلبها بشدة حين شاهدتهما ينظران الى لوحة على قاعدة الرسم.
يبدو ان نيكولا سمع صوت خطواتها فقد قال

ببساطة:«آه، ريبيكا كنت اعرض على ريتشارد بعضا من لوحاتي.»
تنفست ريبيكا الصعداء حين اقتربت لتجد ان اللوحة التي يتأملانها كانت لوحة طبيعية لبحر إيجه.
قال ريتشارد:«اجل، انها جميلة.» لكنها ادركت انه يقول ذلك من باب التهذيب.
فذوقه يتنافى والاعجاب بأمواج بحر تتحطم بزبد هائل على الشاطىء الصخري.
قال نيكولا:«هناك واحدة اخرى.» وهو يزيل لوحة البحر واضعا مكانها لوحة تحمل منظرا طبيعيا لبلدة سكايثوس والميناء وتابع:«لا بد انني سأجد سائحا ثريا لأجل هذه، الا تظنين ذلك يا ريبيكا؟»
كانت عيناه الساخرتان تسخران ليس فقط منها بل من ريتشارد ايضا، فأجابت بقساوة:«انا واثقة من ذلك.»
«آه، وستهتم لهذه اللوحة يا ريتشارد بالتأكيد، هي لم تكتمل كليا لكن...»
قاطعته ريبيكا فجأة مدركة أي لوحة يقصد:«لا.»
لكن نيكولا ابتسم لها وقال بعذوبة ساخرة. «آه، آسف، اكنت ستبقيها كمفاجأة؟ لكن بالطبع

على الرجل معرفة ما سيتلقاه كهدية زواج، أليس كذلك؟» ووضع اللوحة أمامه.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تراها بها وحدقت بها بعينين واسعتين، كانت جميلة، وأشجار الزيتون في الخلف والأزهار حولها تتناغم مع الباقة في حضنها ومع طيات تنورتها، اخيرا تجرأت ونظرت الى نفسها، يا للشبه الكبير، مع انها لم تكن طبعا بهذا الجمال الفاتن.

لكن بعد كل شيءالا يجمل الرسامون ما يرسمون دوما؟

«اظنني صورت بعضاً من ريبيكا الأصلية مع ان تلك صفة واهية طبعا، الا توافقني الرأي يا ريتشارد؟»

اجاب ريتشارد:«اتظن ذلك؟» ونظرت إليه ريبيكا فورا بعد سماع نبرته وشاهدت احمرار وجنتيه.

تساءلت ريبيكا بإحباط:«لكن... الا تعجبك؟ اظنها رائعة.»

اجاب ريتشارد:«لا، انا آسف عزيزتي. كانت هذه فكرة جميلة، لكن...»

استدار نحو نيكولا متابعاً:«لا اظنها اعجبتني.»

سألت بذهول:«ولِمَ لا؟ ما عيبها؟»

«حسناً، كبداية اين خاتم خطوبتك؟»

نظرت بغباء إليه وسألت:«ماذا تقصد؟»

«كنت اعتقد انها ما دامت هدية زواج فكان يفترض بك وضع خاتم الخطوبة.»

استدارت بسرعة نحو اللوحة ووجدت انه على حق. فيدها اليمنى كانت تحت الياقة، اما اليسرى فهي تستقر على ساقها دون ان يكون فيها أي خاتم.

قال نيكولا بصوت قلق:«آسف، لا بد انني نسيت رسمه.» لكن برؤيتها لنظرة عينيه ادركت تماما ان الخوف كان متعمدا.

عادت ريبيكا لتسأل ريتشارد:«لكن هل هذا هو السبب الوحيد؟ انا واثقة ان بإمكان نيكولا إعادة رسمه، أليس كذلك؟»

لكن ردة فعله الوحيدة كانت هز كتفيه فقط. وعاد ريتشارد ليقول وكأنه لم يسمع كلمة مما قالت:«سأكون سعيدا بالطبع يا كيفين للتعويض المالي عليك جراء تضييع وقتك.»

للحظة فقط شاهدت بريق الاحتقار في العينين الزرقاوين والذي غلف ريتشارد حتى الأعماق. لكن ما قاله نيكولا كان:«اخشى ان ثمن اللوحة مكلف جدا، لكن على كل حال انا واثق من انني سأجد شار آخر لها بسهولة.»

لا يعقل ان يفعلا هذا، ريتشارد رفض اللوحة ونيكولا يعرض ببساطة بيعها لأول سائح يمر به، انها هي المحتجزة بين عدائهما، الا يرى احدهما ذلك؟

حدقت باللوحة الى ان غشت الدموع عينيها مانعة اياها من الرؤية الواضحة وشعرت بموجة عارمة من التملك تعتريها وتجعلها راغبة بانتزاع اللوحة وأخذها. لا يجدر بأي شخص آخر الحصول عليها... لا احد.

مسحت دموعها ونظرت الى ريتشارد قائلة:«ظننت انني كنت سأريك بستان الزيتون.» وغادرت الغرفة تاركة إياه ليسير خلفها.

قالت بعصبية وهما يسيران نحو البستان قاطعة الصمت بينهما:«ماذا فعلت بحقائبك؟»

«انها في الفندق بالطبع، حجزت غرفة لي هناك قبل مجيئي الى هنا.»

توقفت بدهشة قائلة:«لكن هناك العديد من الغرف في الفيلا.»

رد بجفاف:«اعلم ذلك. لكني اعتقدت انك تفضلين ان اتصرف بلياقة، لكن يبدو انني كنت مخطئا.»

«وماذا يعني ذلك؟»

اجابها بغضب:«انك وبكل بساطة لا تشاركينني احاسيسي بطريقة لائقة.»

جاهدت ريبيكا للاحتفاظ بهدوئها رغم غضبها مما يلمح إليه وقالت:«انا لم اشاطر نيكولا العواطف ان كان هذا ما تقصد، فبعيدا عن أي شيء آخر، انا مخطوبة لك، لكنك بالطبع ما كنت لترغب بتركي للفيلا ليبقى هو فيها على هواه. تعرف ما يقولون عن ان التملك هو تسعة اعشار القانون.»

«اجل، حسنا. لنتابع السير، هلا فعلنا؟»

حين وصلا الى بستان الزيتون سارت الى اقدم شجرة فيه وقالت:«هنا رسمت لوحتي. كنت اجلس متكأة على هذا الجذع. أهي حقا لم تعجبك يا ريتشارد؟ اعرف انك لا تحب نيكولا ولا اقول انني ألومك على ذلك، لكن لا تدع ذلك يفسد عليك الأمر.»

«لا، لا علاقة البتة له بذلك، مع ان اللوحة من النوع الذي اتوقع منه دون شك رسمها، ان اردت ان تعرفي السبب حقا فهو انني لا اكترث للوحة تبدو فيها زوجتي وكأنها تدعو أي رجل تنظر إليه.»

رددت بذهول:«تدعو أي رجل! لا افهم ما تقول ؟»

«حقاً؟» ألق نظرة اخرى على اللوحة إذن في وقت لاحق. تناسي المظهر الخارجي

وادخلي الى الاعماق. اللوحة غير اخلاقية.»
صاحت بصوت غاضب:«غير اخلاقية! لكني ارتدي ملابس محتشمة.»
رد ريتشارد بصوت جليدي:«لا علاقة للملابس او عدمها بهذا، انظري فقط الى العينين، التعبير كله منعكسا على وجهك.»
«انا واثقة انك مخطىء.» تابعت بصوت مرتجف:«لكن حتى وان كان كذلك فان هذا التعبير لك وحدك.»
سأل:«احقا؟ لم اكن بالجوار حين رسمت.»
«لا، لكني كنت افكر بك.» كانت هذه كذبة بالتأكيد، وتابعت بسرعة:«على كل حال انظر، من أجل هذا المنظر احضرتك الى هنا لتراه.»
كانت شمس المساء تلقي.. بظلالها الشاحبة على اشجار الزيتون ومنها الى حقل الأزهار وسط الحشائش الخضراء، حيث كان النسيم يداعب البتلات مرسلا إياها في رقصة ملونة رائعة تنثر عبق الأريج في كل الأنحاء.
نظر ريتشارد حوله وابتسم قائلا:«اجل، افهم ما تقصدين، لايفترض بنا ابدا تدمير كل هذا الجمال.»
ارتفعت معنوياتها وقالت:«اذن انت تفهم؟ سيكون هذا...»

قاطعها بحدة:«هذه قطعة ارض لا ثمن لها. علينا اقناع ستيفن بضمها الى خططه ومشروعه كي نستفيد منها قدر المستطاع.»
«لكن...»
قاطعها مجدداً قائلاً:«انا واثق انه سيتمكن من بناء شيء ما حول تلك الاشجار وان اضطررنا لجرف تلك الأزهار فسنتمكن من إعادة زرع الأرض بالبذور.»
«جرف الأزهار؟» تابعت والألم يمزق صدرها:«لكني ظننتك فهمت. هذا سيكون انتهاكا لجمال المكان.»
حدق ريتشارد بها بعينين جافتين وقال:«انتهاكاً؟ هل هذه كلماتك انت ام ان احدهم كان مشغولاً بزرع رأسك بالأفكار؟»
«انها كلمتي انا بالطبع.» اخذت نفساً عميقاً ونظرت إليه بثبات متابعة:«لن نبني شيئا هنا. هذه ارضي انا، هذا ان لم اخسرها، وانا لن اسمح بتدميرها لأجل المال فقط.» ثم ابتسمت له متابعة:«قد يكون المكان لنا وحدنا فقط، يكون منزل عطلتنا. قد نقضي شهر عسلنا هنا.»
لكنه لم يبادلها الابتسام بل قال:«لا عرف ما الذي اصابك يا ريبيكا، انت لست الفتاة التي خطبتها. انت دائما بارعة ومتزنة في العمل.»

شبكة ليلاس الثقافية www.liilas.com

قالت بتعاسة:«اجل، انا كذلك فعلاً، أليس كذلك؟»

«لا بد ان هذا المكان هو السبب في تبدلك. لقد فعل هذا بجدك والآن بك. كم من الوقت مضى عليك في هذا المكان؟ اقل من اسبوع وها انت تنهارين، كان يجب عليك ملاحقة ذلك المحامي ليلا نهارا، وطرح الاسئلة على كل من في المقهى ومعرفة كم تقاضى ذاك الشاهد لقاء توقيعه. لكن بدلا من ذلك ماذا فعلت؟» زفر نفساً عميقا متابعا:«تجلسين في بستان الزيتون كي يتم رسمك!»

«انا قادرة على الاهتمام بشؤوني.»

«اتظنين ذلك؟»

سألته بصوت هادىء:«وماذا تقترح ان نفعل إذن؟»

«الاستيلاء على ورقة اللعب تلك كبداية. من دونها يصبح هو ضائعا.»

سألت بذهول:«تقصد تمزيق الورقة؟ لكن هذا سيكون تصرفا غير شريفا.»

ضحك ريتشارد قائلا:«اتظنين ان ذاك الحقير عديم الاخلاق لن يلعب معنا بقذارة إذا أتيحت له الفرصة؟ افتحي عينيك يا عزيزتي، في مجال عملنا عليك ان تكوني اكثر حكمة

في تقييم الآخرين مما انت عليه الآن.»

ردت:«لا. مهما كان نيكولا الا انه رجل مستقيم، انا واثقة من ذلك.» مع ان السبب في دفاعها عنه ذاك كان شيئا لا تفهمه.

«حسنا، كل ما بوسعي قوله انه من حسن الحظ مجيئي الى هنا في الوقت المناسب. سنعود الى الفيلا الآن وستوضبين اغراضك.»

«لكن لماذا؟»

«لن تقضي ليلة اخرى هناك، سأحجز لك غرفة في الفندق الذي انزل فيه، سنرى غدا ذاك المحامي، او لا. غدا سأرى المحامي وحدي وأحثه على القيام بتصرف ما، وكبداية سأحصل على طلب اخلاء للفيلا ثم مساء الغد سنسافر عائدين الى الوطن.»

«الآن انتظر لحظة...»

قاطعها قائلا:«كلما اسرعت بالعودة الى لندن كلما كان افضل. ما تحتاجينه هو العودة الى المنطق والعقل.»

نظرت ريبيكا إليه للحظة طويلة، وفكرت باستغراب، ما جذبها الى ريتشارد من الأصل كان ديناميكية عقله المتفتح وشعورها انه سيعرف دوما ما يريد وسيحصل عليه. وهذا مختلف تماما عن نيكولا كيفين.

www.liilas.com

أخيراً تكلمت قائلة:«آسفة يا ريتشارد، لكني لن اذهب معك الى فندق البلدة، ولن اعود معك الى انكلترا، ولن اتابع مخططات الانشاء تلك...»
رمته بنظرة حزينة وتابعت بلهجة قاسية:«وأنا آسفة جدا، لكني لن اتزوجك.»

الفصل التاسع

عندما عادت ريبيكا من بستان الزيتون بعد ساعات، كانت اللوحة لا تزال على الحامل الخشبي، سارت ريبيكا اليها وحدقت بها، كان ريتشارد على حق، لكن بعرض اللوحة عليه اختار نيكولا أرقى الطرق الممكنة لتنفيذ انتقامه.
كان ما قاله ريتشارد واضح للعيان لكل مشاهد، لكن وحدها هي بسذاجة لم تر ذلك. حدقت ريبيكا بتلك العينين وشعور غريب مقلق يتحرك بداخلها.
«إذن فقد رحل؟»
جعلتها النبرة الرقيقة تلتفت بحدة لتجد نيكولا متكئا على حافة الباب.
«بالطبع رحل. وماذا كنت تتوقع؟ فبعد كل شيء هذا ما قصدته منذ البداية، أليس كذلك؟»
سألها:«حقا؟» واقترب منها.
قالت بصوت مرتفع:«تعرف تماماً ان هذا صحيح. انتِ كرهته فور رؤيتك له و...»
قاطعها قائلا:«اقول ان الشعور كان متبادلاً.»
تابعت كلامها بغضب:«وقررت إثارة اكبر قدر ممكن من المشاكل، لذا احضرته الى هنا عامدا

متعمداً مدركاً ما سيكون رد فعله.»
«اجل، انا آسف بشأن الخاتم.»
قالت بحنق:«كلا، لست كذلك. انت لم ترسمه عمداً. لكني لا اتحدث عن الخاتم وانت تدرك ذلك، ادركت ان ريتشارد سيرى في صورتي معنى لم ألاحظه انا.»
«وما الذي رآه وأزعجه لتلك الدرجة؟»
قالت وهي تشير الى اللوحة:«ذاك التعبير المريع.» كأنها غير قادرة على النظر إليها وتابعت:«لقد رسمت امرأة اخرى فيها، لقد رسمت ايلينا ولم ترسمني انا، رسمت وجهي لكنك حملته تعابيرها هي، كنت تفكر بها طيلة الوقت، تلك المستهترة ألا...»
قاطعها واضعاً يده على فمها:«اصمتي.» واسكتتها هذه الحركة غير المتوقعة وتابع:«لم أكن افكر بإيلينا او بأي امرأة اخرى حين كنت ارسمك.»
هزت رأسها بغضب وقالت:«وكيف تتوقع مني تصديق هذا؟»
اجاب:«لأنني ويكل بساطة لا استطيع ابداً التفكير بمطلق امرأة اخرى وأنت امامي.» النظرة الغريبة داخل عينيه جعلتها في حيرة كاملة وتابع:«هذه الصورة صورتك آنت يا

ريبيكا، انها أروع لوحة سبق لي ان رسمتها.»
سألته باستفزاز:«إذن لماذا كنت مستعداً لبيعها لأول سائح يطرق بابك؟» فكرت بنفسها وجاهدت لمنع الدموع من الانهمار على وجنتيها.
«لم ارسم شيئاً لم يكن موجوداً اصلاً، كما خبرت ريتشارد، لقد التقطت ريشتي طبيعة المرأة الداخلية الاساسية بكل افكارها الحسية السرية.»
تذكرت ريبيكا الصورة التي مرت بخيالها لحظة رسمها نيكولا وأدركت ان الرجل في خيالها بتلك اللحظة كان هذا اليوناني الأسمر الفاتن الذي يقف أمامها الآن وعينيه الزرقاوين تضحكان لها.
هزت رأسها بخفة وانفجرت قائلة بقوة:«هذا كذب، هذا لم يكن موجوداً. انا لست كذلك، لست كذلك ابداً، ريتشارد رأى ذلك.»
«لا يا حلوتي، بل السبب بالضبط هو رؤيته لذلك للمرة الأولى، لأن رجلاً مثله ما كان ليكتشف هذا الشيء بنفسه وهو لم يحب ما رآه، لهذا رفض اللوحة، ورفضك.»
أخذت تدور بتوتر وهي تقول:«لا، هذا غير صحيح، انا لست كذلك وأقول لك هذا.»
«آه، لا تفعلي.»

اقترب نيكولا منها ليخفف من غضبها، لكن بسبب الحنان المفاجئ الذي لون صوته لم تعد اعصابها قادرة اطلاقاً على تحمل المزيد من العذاب. فانطلقت بعيداً عنه وهي تصرخ بصوت عال:«اتركني وشأني، تبا لك. لا اريد رؤية وجهك او وجه ريتشارد بعد الآن، لقد اكتفيت.» وغادرت المرسم.

عند وصولها الى بستان الزيتون توقفت واتكأت الى جذع شجرة الزيتون، شجرتها حيث رسمها نيكولا ودون ان تعي ذلك، بقيت هناك وهي تجاهد للتنفس بعد ركضها السريع ذاك الى ان رأته يقترب من بين الاشجار متجها نحوها، لماذا لا يفهم انها بحاجة للبقاء بمفردها؟ استقامت وتابعت الركض.

ناداها بصوت نافد الصبر:«ريبيكا.»

قالت وهي تستدير:«ارحل.» وتأوهت حين أمسكها فجأة مثبتا إياها مكانها.

حاولت الافلات من قبضته فتعثرت قدمها وسقطت وإياه على الارض بقوة، لحظات ثم استقام فوراً وأمسكها من كتفيها مساعداً إياها على النهوض بدورها وقال:«هل انت بخير؟»

لكن القلق في صوته تزامن مع ابتسامة خبيثة فجرت غضبها.

صاحت بأنفاس لاهثة:«بالطبع انا بخير، انت، انت... طلبت منك ان تتركني وشأني.»

بعدت خصلة من الشعر عن وجهها وحدقت به بعينين حاقدتين ثم رأت فجأة الضحكة تتلاشى عن وجهه. اشتدت قبضة يديه على كتفيها وشدها إليه بعنف ورقة معاً، وأحست باشتعال النيران في أعماقها ولكن التمرد كان لا يزال بداخلها فنزعت نفسها من بين ذراعيه.

فقال لها برقة اذابتها:«لا تخافي، ثقي بي.»

وعاد لهيب عناقه يشعلها فهمست:«نيكولا.»

جابها بأنفاس لاهثة:«لا تكوني خجولة يا حلوتي، فصداقتنا القديمة تجعل خجلك دون داع.»

حدقت به ودون انذار اضحت كل مشاكل النهار وكل التوتر والاضطراب اللذان مرت بهما لا يحتملان، فعضت على شفتها السفلى بقوة لتمنع الدموع من التساقط ولتكبح هذا الشعور الجديد الذي اخذت تشعر به نحو نيكولا. وانفجرت بالبكاء فيما ذراعه حول خصرها ويده الأخرى تمسد شعرها.

اخيرا جفت الدموع وتململت قليلاً مبتعدة عنه وابتسمت بخجل قائلة:«آسفة بهذا الشأن. كان هذا اليوم صعبا جدا وكثير المشاكل.»

رفع يدها اليسرى وحدق بمكان الخاتم الفارغ ثم غمر يدها بكفيه قائلا:«أكان الأمر بالغ السوء يا عزيزتي؟»

«لا، اجل.» ارتجف صوتها وهي تنطق كلماتها وتذكرت غضب ريتشارد وتعابيره المندهشة ثم كلماته الباردة الممزقة التي قطعت اوصال قلبها كالخنجر. نظرت ارضا وتناولت زهرة بنفسج وقالت اخيرا:«استغرق وقتا قبل ان...»

«كيف اقنعته؟»

«اخبرته.» كانت تخفض رأسها ونظراتها تتجه نحو الأرض وشعرها يخفي وجهها فاضطر للانحناء لسماع كلماتها الخافتة وهي تتابع:«اخبرته في النهاية انه لا يمكنني ابدا الزواج من مدير مصرف.»

اجابها مستفسرا:«فهمت. ولا حتى رجل غني وذات مستقبل باهر؟»

قالت:«كنت محقا. قلت انني لن اكون ابدا سعيدة مع واحد مثله.»

قال:«حسنا، لا اظنني قلت هذا بالضبط، لكن ذلك انتهى الآن لذا لا تجزعي بهذا الشأن بعد الآن.»

ابتسم متابعا:«لدينا اشياء أهم لنفكر بها هذا المساء.»

سألته:«مثل ماذا؟» وهي تنظر إليه اخيرا عبر رموشها.

«مثل هذا يا حلوتي.» امسك يدها وسار بها نحو الفيلا فيما قبلاته تغمرها بين الحين والآخر.

* * *

استيقظت ريبيكا صباحا ووجدت ضوء الشمس يغمر الغرفة، للحظة ظلت مكانها دون حراك تحدق بالغرفة. فتح الباب فجأة ودخل نيكولا حاملا صينية بين يديه.

سألها برقة:«كاليمارا يا حلوتي الصغيرة، هل نمت جيدا؟»

أجابت:«اجل.» وأخذت تتمطى بتكاسل، ثم ابتسمت له.

رمقها بنظرة ملتهبة قائلا:«لا تبتسمي لي هكذا.»

سألت ببراءة:«لماذا؟»

قال وهو يتنهد:«لأن الآن موعد تناول طعام الفطور، هذا هو السبب.»

نظرت الى محتويات الصينية وقالت:«آه، يا نيكولا، عصير الليمون؟»

قال:«بالطبع وأي شراب آخر تريدين بمثل هذا الصباح الرائع؟»

أخذ نيكولا يطعمها بيده لقمة تلو لقمة فضحكت ريبيكا وقالت:«اشعر وكأنني ملكة جمال الكون.»

نظر إليها بحنان غريب وقال:«ولا أي ملكة جمال كون تتمتع بنصف الجمال الذي تبدين عليه بهذه اللحظة.»

تناول الكوب من يدها ثم قادها ثانية وهي تعترض بخفة وسار بها الى غرفة الجلوس حيث اوقفها امام المرآة الضخمة هناك.

سألها:«الآن، ماذا ترين؟» وكان يقف خلفها مباشرة.

ماذا ترى؟ وما الذي سبق وقاله نيكولا عن هذه المرآة، انها تظهر حقيقة المرء الداخلية؟ بشبه ذعر، نظرت الى صورتها في المرآة، نظرت الى بشرتها اللامعة كالساتان، لكن تعابير الوجه هي ما استدعى انتباهها. كانت وجنتاها موردتان وتبرقان بتوهج غريب فيما عيناها...

قال نيكولا بصوت مبحوح:«قلت انني سأرسم ريبيكا الحقيقية في لوحتك، أليس كذلك؟»

رأت انها كانت فعلا اللوحة التي تنبض بالحياة.

تبع ذلك اياماً بلا نهاية، على الشاطىء، سباحة، لعب تنس على الشاطىء، ارتياد القرية على

دراجة نيكولا النارية. كانا يتنزهان في الحقول ويتناولان الجبنة والزيتون والعنب قبل العودة بعد الظهر للفيلا. وبدا ان وجودها هنا رائعا ومناسبا وكأنها ولدت لتكون في هذا المكان.

تبخرت السنوات الثمانية السابقة التي قضتها بانتظار هذا الحاضر الذي تعيشه الآن.

كانت ريبيكا تستيقظ عند الصباح وهي تفكر في الماضي عندما تعرفت إليه في ذاك الصيف الذي لم يدم، لكن الآن بدل ذاك الماضي الصيف الساحر سيبقيان معا للأبد. لكن هل هذا ما سيحدث فعلا؟ هذا الصيف ايضا سينتهي. ستذبل الأزهار في بستان الزيتون وستصل رياح الخريف ومطر الشتاء. كان يقول لها دائما:«لنفكر دائما في الحاضر وننسى المستقبل.»

يوما ما في ذلك المستقبل وكون نيكولا ذلك البوهيمي الذي تعرفه تماما سيدير لها ظهره يوما ما قائلا:«أراك لاحقا.» كما فعل في المرة السابقة وسيختفي من حياتها. لا، لا مستقبل لها مع نيكولا وهو لم يتظاهر بعكس هذا فهو لم يذكر لها يوما مسألة بقائها هنا الى ما بعد انتهاء إجازتها.

إجازتها؟ بذعر مفاجىء تسللت عن السرير

وهرعت سريعاً الى حقيبتها وبدأت تعبث بها بحثاً عن بطاقة السفر، بيد مرتعشة فتحت البطاقة وقرأت الجمعة في 21 أيار (مايو). لكن ما هو تاريخ اليوم؟ أي ايام الاسبوع هو اليوم؟ فهي باستغراقها كليا بسعادتها مع نيكولا كانت كمن يعيش خارج الوقت...

نظرت الى ساعتها قرب سريرها، والتي لم ترتدها منذ ايام، وقرأت الخميس 20 أيار (مايو)، وعليها ان تكون جالسة الى مكتبها في المصرف يوم الاثنين. لديها موعد الساعة التاسعة والنصف مع من يدعى...؟ ما اسمه؟ بحثت في ذاكرتها بيأس وتذكرت. اجل، انه السيد راسو والذي كانت ستقابله بشأن القرض الذي طلبه لأجل مطعمه الجديد. وقد انهت كل الاعمال الورقية المطلوبة قبل مجيئها الى اليونان.

كان نيكولا في المطبخ، ابتسم لها لحظة ظهورها ولم يلحظ كم يبدو ان قلبها كان يتحطم وقال:«هل حضرت السلطة؟»

اجابت بحذر:«اجل، بالطبع.»

كان النهار مشمسا بسماء زرقاء وبحر فيروزي هادىء. جلست ريبيكا واضعة ذقنها على ركبتيها وفكرت ان كان قد مر عليها قبلا يوما بمثل هذه الروعة، ثم لدى شعورها بنظرات نيكولا المركزة

عليها من تحت نظاراته الشمسية ابتسمت له.

كانا قد عادا الى الفيلا وأخذ يحتسيان الشاي المثلج على الشرفة حين قالت باختصار:«نيكولا... انا سأرحل غدا.»

قال:«اعرف ذلك.» وعيناه لا تعكسان أي تعبير.

«لكن كيف؟ أعني...»

«يا صغيرتي، انا اعرفك جيداً لدرجة انني اعرف ما يجول بخاطرك حتى بل ان تنطقي به.»

قالت بمحاولة مثيرة للشفقة للبقاء هادئة:«في هذه الحالة... ستعرف لماذا انا مضطرة للمغادرة.»

«طبعا.»

«ألن تحاول اقناعي بعدم القيام بذلك؟»

«وهل استطيع ذلك؟» سأل بصوت شبه سافر أعاد الى ذهنها نيكولا القديم الذي وجدته عند بداية وصولها للجزيرة.

قالت:«ربما.» انحنت الى الأمام وغطى شعرها وجهها وهي تحدق بأصابعها المتشابكة.

خلع نيكولا نظاراته واقترب منها ماسكا يديها بين يديه وقال:«ريبيكا، تعرفين ماذا أريد.»

قالت بابتسامة حزينة:«هل اعرف حقا؟»

اجابها بحب:«اريدك قربي، اريد ان نستلقي الى ما لا نهاية في بستان الأزهار وان ارسمك مجددا ومجددا مصورا كل وحالاتك المزاجية.

لكنك تعرفين أي نوع من الرجال انا، أي نوع من الحياة أحيا، لذا لن احاول اقناعك.»
وحين لم تجب تابع:«والآن سنتناول وجبة خاصة في آخر أمسية لك هنا.»
شموع وأزهار، هي في ثوبها الزهري، نيكولا في قميص ابيض، وبنطال رمادي داكن. لكن ضوء الشموع كان ضبابيا والأزهار غير واضحة بسبب الدموع التي غشت عينيها وحيت احتست العصير شعرت بحرقة الغصة في حلقها.

* * *

في الصباح التالي، وفور اغلاقها لحقيبتها ظهر نيكولا على عتبة غرفتها.
كان وجهه خالٍ من التعبير مما جعلها تشعر وكأن خنجرا يمزق قلبها.
طلبت لك سيارة أجرة، ستكون هنا بعد ساعة.»
وابتسم قليلا متابعا:«لم اتخيل انك سترغبين بالذهاب الى المطار على ظهر الدراجة.»
«شكرا لك.»
«سأعد لك الفطور.»
احست بأنها ان حاولت تناول شيئاً ما فستختنق على الفور، فقالت:«لا، شكرا لك، لا اشعر بالجوع.»
«القهوة فقط إذن.»

حين خرجت الى الشرفة وجدته قد حضر القهوة وأحضر صحنا من الفاكهة.
«سأتركك لاحتساء قهوتك.»
وقبل ان تتمكن من الامساك بيده لتوقفه، كان قد اختفى.
وصلت سيارة الاجرة قبل موعدها المحدد وظهر نيكولا فجأة حاملا حقيبتها. القى التحية على سائق السيارة ثم فتح صندوق السيارة ووضع الحقيبة فيها قبل ان يستدير نحوها.
«اذكر وعدي لك بهذا يوما ما.» فيما حدقت به صمت خلع ميداليته الفضية ووضعها حول عنقها متابعا:«شعرك يعترض الطريق، استديري.»
استدارت وشعرت بأصابعه ترفع شعرها وبعد ان احكم الميدالية حول رقبتها عاد فأسدل شعرها. حدقت في الميدالية والغصة في حلقها وقلبها.
قال:«ريبيكا.» وأمسك بكتفيها.
«اجل يا نيكولا.»
«رحلة آمنة ايتها الصغيرة.» فتح لها الباب فاستقلتها وأغلق الباب خلفها ثم ناول سائق السيارة الأجرة.
غامرت بإلقاء نظرة الى الخلف بعد انطلاق

السيارة فوجدته يعتلي درجات سلم الفيلا. عضت على شفتها وهي تشاهده يختفي عن انظارها والدموع تلمع في مآقيها، وحين انتبهت لتحديق سائق السيارة بها عبر المرآة باستغراب وضعت نظاراتها الشمسية.

حين ارتفعت الطائرة في الجو رأت ريبيكا الجزيرة بأكملها في الاسفل، هناك كان نيكولا، هل هو في الاستوديو الآن؟ هل هو يقف والريشة بين يديه مستمعا لصوت الطائرة؟ وحينها فقط تذكرت لوحتها التي تقبع بانتظار سائح ثري يعجب بها.

تنهدت بعمق وتململت في كرسيها واغمضت عينيها مخفية ما يعتمل في داخلها لدى رؤيتها لنظرة الشابة القلقة التي تجلس على الكرسي قربها.

الفصل العاشر

إذن لا داع للقلق بأي شأن سيدة هندريكس.».
قالت المرأة التي بمتوسط العمر لريبيكا
لمبتسمة:«أجل شكرا لك آنسة تيرنر. لقد أرحت
بالي بالفعل.»
فور انهائي للحسابات النهائية سأعطيك نسخة
يوم الاربعاء على ابعد تقدير.»
نهضت ريبيكا ورافقت المرأة الى خارج مكتبها.
لكن الابتسامة المهنية المشرقة خبت فور اغلاق
ريبيكا باب مكتبها واتكائها إليه حيث ظلت
لحظات طويلة قبل ان تعود الى مقعدها خلف
المكتب.
كانت قد انسلت بضع خصل من تسريحة
شعرها المرفوعة للأعلى فرفعتها عن وجهها
بكف مرتعش وضغطت على جبينها بأصابعها
لتخلص من الألم البسيط الذي اخذت تشعر به
غالبا هذه الايام. لعلها بحاجة لنظارات طبية
جراء العمل الكثيف خلف شاشة الكمبيوتر، لكن
وقتها لم يكن يسمح لها بالذهاب الى طبيب
العيون.
تناولت قلم رصاص وأخذت تعبث به، اكانت

مصيبة باختيار هذه الوظيفة وبانتقالها من لندن الى فرع آخر اصغر في كينغزلين؟ اقنعت نفسها ان هذا يؤمن لها تجربة متنوعة ممتازة ستحسن من خبراتها. وأيضا فهي تحب هذه المنطقة حيث سبق وقضت معظم فترة طفولتها فيها.

لذا فقداستغلت فرصة الهروب من التعنيف الصامت في منزلها ومن امكانية الاصطدام بريتشارد على الدوام وطلبت نقلها الى هذا الفرع. لكن حتى رغم املها بعدم ظهور ذلك لكن حماسها للعمل، سعادتها باتخاذ قراراتها بنفسها وبقدرتها على حل المشاكل المستعصية في العمل، كل ذلك قد تبخر واختفى.

رن جرس الهاتف فرفعته قائلة:«اجل يا روزان صليه بي من فضلك.. أهلا فيليب، اجل، لقد انهيت العمل بذاك الملف تماما، سأحضره لك على الفور، آه، وبشأن إعادة جدولة ذاك العرض الذي حدثتك عنه بوسعي اعطائك إياه صباح الاثنين... لا، لا، اطلاقا، بوسعي العمل عليه اثناء عطلة الاسبوع... لا، لا، صدقا سيسرني ان افعل.»

سارت عبر الطريق المحاط بالاشجار وصوت خرير مياه النهر الى يسارها يداعب سمعها

وصعدت الى شقتها في الطابق الثالث مغلقة الباب خلفها، نهاية اسبوع آخر، بمقدورها عدم رؤية أي شخص حتى صباح الإثنين ان شاءت، الا بحال خرجت للتسوق غدا واتخذت قرارا بشأن سجادة غرفة الجلوس. هل تختار اللون الاخضر الباهت أم العاجي؟

مجرد التفكير بذلك زاد من صداعها، خلعت حذائها ثم صنعت لنفسها الشاي وبعض الخبز المحمص وجلست امام شاشة التلفاز لسماع اخبار المساء، لكن حين بدا ذلك شيئا لا يحتمل حركت كرسيها وجلست قبالة النافذة الواسعة. في نهاية الشارع تم افتتاح حانة صغيرة منذ أيام قليلة وشاهدت الناس ترتادها بعد يوم عمل طويل.

للحظة واحدة فقط انتابتها رغبة جامحة بتبديل ملابسها والنزول الى الحانة والانضمام الى الآخرين. فمشكلتها انها بدأت تنعكف على ذاتها بانعزال.

مضت الليل في أرق متواصل، كانت تستيقظ فجأة وحلقها جاف وقلبها ينتفض بقوة من اثر ذلك الحلم الذي كان يراودها دوما.

نهضت باكرا وكانت عيناها منتفختين بسبب قلة النوم وأعدت لنفسها القهوة، كان ملف إعادة

الجدولة على الطاولة أمامها فيما السجادة القديمة البالية منبسطة امامها على الارض.
فجأة لم يعد بإمكانها تحمل المزيد من الصمت.
ارتدت بنطال جينز وبلوزة كشمير خضراء وحذاء رياضي ثم نظرت الى نفسها في المرآة.
فيما مضى لم يكن من المسموح لها وجود هكذا ملابس في خزانتها، ابتسمت لهذا وتناولت حقيبتها ثم غادرت الشقة.
شاهدت اثناء سيرها ساعي البريد عند أسفل الطريق فخففت من سرعتها لا شعوريا، لكن لماذا قد يكون هذا اليوم مختلفا عما عداه؟ فلم تصلها أي كلمة من نيكولا، مجرد كلمة، مضى اكثر من ثلاثة اشهر الآن! في الواقع الرسالة الوحيدة التي وردتها من اليونان كانت من المحامي مايكل معلما إياها دون تعليق عن استلامه رسالتها بشأن الفيلا ومخبرا إياها بغموض عن وجود بعض التعقيدات بهذه القضية.
ركنت سيارتها في الموقف ووضعت عليها معطفها قبل دخولها الى الحديقة العامة، مع ان الفصل صيف وهذا شهر آب (اغسطس) لكن بدأت رياح الخريف الباردة تهب منذ الآن. وانقبض قلبها لرؤيتها رمال البحر الذهبية الباهتة والمياه الخضراء على طرف الحديقة.

لطالما كانت تنتظر الصيف بفارغ الصبر وهي طفلة كي تأتي الى هنا وتشاهد هذا المنظر.
ولا زالت تذكر نفسها بشعرها الطويل وفستانها الأبيض النظيف وجواربها البيض حتى الكاحل وهي تمسك الدلو البلاستيكي والمجرفة.
سارت لساعة او أكثر على طول الشاطىء غير شاعرة بطيور النورس المحلقة فوق رأسها، ثم شاهدت صدفة ضخمة عند قدميها فانحنت والتقطتها وأخذت تقلبها بين اصابعها.
تذكرت يوم فتح لها جدها خزانته وناولها صدفة مشابهة لهذه قائلا:«إذا وضعتها على اذنك فيمكنك سماع صوت البحر.»
الآن قامت ريبيكا بذلك وفوراً طرق سمعها صوت تكسر امواج البحر المتوسط على شاطىء يوناني حيث هناك رجل وامرأة يتهامسان على الرمال الذهبية...
فجأة عرفت الحقيقة. لقد اتت الى هنا بحثاً عن السلام الذي كانت تشعر به قبل مقابلتها لنيكولا، وقبل تحطم قلبها. لكن لا فائدة من ذلك، فبإمكانها الهروب منه، بإمكانها الافتراق والابتعاد عنه الى آخر العالم لكنه سيبقى في قلبها دوما لأنه وبكل بساطة يعيش بداخلها، هي تحبه، تحبه بقوة وها هي تذبل وتذوي بعيدا

عنه، بالرحيل بعيداً عنه كانت تسعى للأمان الذي اعتقدته مما يهمها اكثر من أي شيء آخر.
حصلت على الأمان الان لكنه دون أي معنى من دون وجود نيكولا قربها.
سارت وهي تغرز قدميها العاريتين في الرمال متجهة الى سيارتها وبرأسها فكرة معينة.

* * *

انزلتها سيارة الاجرة اسفل التلة، حملت ريبيكا حقيبتها الصغيرة وصعدت الطريق المتعرج وهي تردد ما ستقوله له.
لكن لنفترض انه لم يكن بمفرده؟ هزت هذه الفكرة اعماقها، قالت لنفسها انت حمقاء اتعلمين ذلك؟ ماذا ستفعلين بحال وجدته مع امرأة اخرى، مع ايلينا مثلا؟
للحظة فكرت بالاستدارة والهروب. لكن لا، لقد هربت في المرة الماضية لأنها لم تكن شجاعة كفاية لمواجهة الحقيقة، لذا فقد تابعت الآن طريقها صعوداً بحزم.
لم يكن من احد في الفيلا. كان الباب مقفلاً والنوافذ موصدة وقد مد العنكبوت خيوطه على احد النوافذ، فيما انتشرت بعض الاوراق الصفراء على ارضية الشرفة، لم يأت نيكولا الى هنا منذ اسابيع لربما لم يأتِ الى هنا طيلة الصيف.

دمعت عيناها لفكرة اهمال الفيلا وتركها مهجورة.
هكذا، تذكرت فجأة مكان المفتاح الاضافي فتوجهت الى أص الزهور أسفل الشرفة وتناولت المفتاح من تحته.
دخلت المنزل ووضعت حقيبتها في المطبخ ثم اخذت تفتح كل بابٍ ونافذة في المنزل.
كان الاستديو تماما كما تركته، حتى ان رائحة الألوان ما زالت بداخله. كانت صور ايلينا موجودة هناك لكن صورتها لم تكن موجودة، فشعرت ريبيكا بالغصة في حلقها لإمكانية تنفيذ نيكولا لتهديده ببيعها لأول سائح ثري.
استدارت بألم ودخلت غرفة نومه، كل شيء كان مرتبا في الغرفة ومنظما. عضت على شفتها ثم ذهبت الى غرفة نومها وتكورت على الفراش.
سيعلم نيكولا على الفور انها هنا، لعله يعرف ذلك منذ الان، ان أراد المجيء، ان لم يكن الأوان قد فات، فسيأتي بالتأكيد. ثم غرقت في سبات عميق دون احلام...
أقبل الصباح، كانت قد نامت لأكثر من اثني عشر ساعة ثم استيقظت، استحمت وارتدت فستانا هنديا من الموسلين وخرجت الى الشرفة، بعد قليل رأت نيكولا يتقدم بخطوات سريعة نحو الفيلا.

توقفت على قمة السلالم بوصوله لأسفلها ونظرا الى بعضهما بصمت للحظات، كان يرتدي بذلة زرقاء وقميصا ابيض، بدا وجهه نحيلا ومتعبا. تسنى لها الوقت لملاحظة ذلك فقط قبل ان تقول باندفاع:«مرحبا يا نيكولا. قد عدت.»

نزلت السلالم سريعا وارتمت بين ذراعيه. ضمها بقوة ووجهه مدفونا في شعرها لكنه في النهاية ابعدها عنه برفق ونظر الى وجهها.

سألها:«اخبريني لماذا عدت يا ريبيكا؟»

حدقت به مجيبة:«لقد عدت يا نيكولا لأنني احبك.» وحين لم يجب تابعت:«اعرف تماما الآن ان حياتي لا معنى لها من دونك.»

«لكن معي قد تكون حياتك فوضوية وغير مستقرة، أيمكنك مواجهة ذلك يا ريبيكا... عدم الأمان سنة تلو سنة؟»

«اعرف فقط انه لا يمكنني العيش من دونك.» وابتسمت له متابعة:«انا أستبق الأمور، أليس كذلك؟ انت لم يسبق لك ان قلت انك تحبني.»

حين لم يجب اجبرت نفسها على المتابعة بسرعة:«عدت الى انكلترا لأنني كنت خائفة. كان الأمر كالحلم هنا اردت البقاء هنا بشدة، لكن جزءا صغيرا مني كان يرتجف بذعر لفكرة قضاء بقية ايامي مع فنان مكافح عديم المسؤولية.»

«بدل الاستمتاع بالحياة التي يؤمنها مدير مصرف بمستقبل واعد؟» كانت السخرية الخفيفة تلمع في عينيه بخفة وهو يتابع:«لكنك عدت.»

اجابت ببساطة:«اجل. لأكون سعيدة لمجرد وجودي قربك ومعك. هذا... إذا كنت لا تزال راغبا بي.»

قال ممسكا بيديها:«آه، يا حبيبتي الصغيرة.» تابع بصوت مبحوح:«سامحيني، لو تعرفين فقط كم كلفني وداعك والسماح لك بالذهاب بتلك الطريقة... كم كان صعبا علي رؤيتك تذهبين من دون معرفة سواء ستعودين أم لا وأنا احبك بهذا المقدار الهائل.»

«تحبني؟»

«يا فتاتي الحبيبة اظنني احببتك منذ كنت في السادسة عشر، مع انني احتجت الى ثماني سنوات لأدرك ذلك.»

قالت برقة:«وأنا ايضا. لكن الآن، اظنني نضجت اخيرا.»

ابتسم لها بسعادة وقال:«وأصبحت امرأة اكثر جمالا مما كنت إتخيل، يا «حبيبتي الرائعة، لا تتركيني ثانية ابدا. كاد الانتظار ان يقتلني رغم معرفتي الاكيدة بضرورة ان تكوني حرة كي تتخذي قرارك. انا رجل صبور جدا...»

قاطعته:«حقاً؟» وهي تنظر إليه بحب وشغف.
«اجل، حقا. لكني كدت اسافر الى انكلترا لخطفك وحملك ثانية الى هنا بالقوة بحال احتجت لذلك.»
همست بحب:«كان هذا ليكون جميلاً.»
«كنت لآتي الى كينغزلين و...»
صاحت بذهول:«كينغزلين؟»
«آه، اجل، لدي معارفي في انكلترا يبقوني على الاطلاع دائم حول آخر اخبارك.»
«لكن لماذا؟»
«حسنا، قد لا يخطر هذا ببالك. لكن تبعاً لما حدث بيننا فأنا احبك وأريد ان اتزوجك.»
«تقصد... هل انت متأكد؟»
«بالطبع، آه، كارتبينوس، اغابينو،كارتيامو.»
«ماذا يعني ذلك؟»
حبيبتي، حبي، قلبي.»
تابعت بتردد:«كارتبينوس، اغابينوس، كارتيامو. هل هذا صحيح؟»
«بالتأكيد.» لكن عادت الجدية الى عينيه وتابع:«هل انت مستعدة للقبول بالزواج مني؟»
هتفت والسعادة بادية على عينيها:«آه، اجل يا نيكولا.» ثم اضافت:«وفي حال نضب نبع السواح الأثرياء؟»

«سيكون علينا العيش بتناول الخبز والجبنة،او لعلنا سنضطر لبيع ساعتك الثمينة تلك.» امسك بيدها وقال:«أو هذا السوار او الميدالية التي حول رقبتك.»
هتفت وهي تضع يديها على رقبتها بحماية وهي تضحك:«لا بأس، لربما لا حاجة لكلتا التضحيتين.»
اختفت ضحكته وقال بجدية تامة:«ريبيكا. اظنك تريدين حفل زفاف ضخم في لندن؟»
ردت ببساطة:«لا. انا اريدك انت فقط.»
ضحك بانتصار قائلا:«إذن سنتزوج في اثينا في... في أي يوم نحن؟ الثلاثاء؟... سنتزوج يوم الجمعة.»
«آه، اجل، يا نيكولا.»
«لكن حتى ذلك الوقت. انت تحت حمايتي، لهذا سآخذك الى شقة والديّ في اثينا الآن وفورا.»
حدقت به بذهول. ما الذي حل بنيكولا المشاغب؟
«اين حقائبك؟ اخبروني انك احضرت حقيبة واحدة.»
«اخبروك...؟ آه، لا تقل لي، وكالة انباء سكايثوس السريعة؟»
رد بمرح:«بالطبع. صديق في أيام الدراسة

يعمل في قسم الاجانب في المطار.»
قالت وهي تضحك:«كنت لأعرف ذلك. لم أدرك انني كنت وحدي بمواجهة كل شبكة اخبار ابناء سكايثوس.»

* * *

رافق نيكولا ريبيكا عبر الممر الرخامي.
سألها:«لا بأس؟»
ردت بأنفاس لاهثة:«اجل انهما رائعان.» فقد استقبلها اهل نيكولا بحب وترحيب وكلمات الوالدة السريعة تغمرها ونظرات الوالد بعينيه الشبيهتين لعيني نيكولا تضحك لها.
بعد انتهاء الغداء صعد نيكولا بها الى الطابق العلوي في المبنى الموجود بواحد من افخم احياء اثينا وحيث تسكن العائلة في الطابق الثالث. غادرا المصعد وفتح نيكولا باب الشقة وانحنى لها بمرح كي تدخل.
ذهلت ريبيكا من روعة المكان بالداخل، من الألوان المتناسقة، الى الأثاث الرائع المتنوع بين الطرازين الحديث والقديم، الى النوافذ الضخمة الزجاجية التي كانت تظهر معظم اثينا في الأسفل وكذلك الاكروبولس الرائع. سارت الى إحدى النوافذ ونظرت خلالها بإعجاب ثم استدارت لتجده يحدق بها.

قالت ببطء وشبه خوف:«انا لا افهم، هذه الشقة...»
«لي.»
«تقصد انك استأجرتها.»
قال مقتربا منها وممسكا بيديها:«ليس تماماً.» ثم اجلسها على الكنبة البيضاء الجلدية متابعا:«علي الاعتراف لك بشيء، فكما ترين انا لست رساماً بالفعل.»
«لكنك كذلك وانت رسام بارع ايضاً.» وضعت يدها على كتفه متابعة:«بل انت احسن الرسامين جميعا.»
ابتسم لها ومسح وجنتيها بأصابعه قائلاً:«انا لم اقصد ذلك، كما وأنني لم استأجر هذه الشقة بل انا مالكها ومالك البناء بأكمله.»
«آه.» شهقت وقد شحب لون وجهها وجحظت عيناها، فتابع:«لقد قلت لريتشارد انك لا تستطيعين ابدا الزواج من مدير مصرف؟»
«اجل.»
«حسنا.» صمت للحظات ثم تابع:«ما رأيك في الزواج من رئيس احدها؟»
«رئيس ماذا؟»
«مصرف تجاري عالمي.»

الفصل الحادي عشر

سألت بذهول وعدم تصديق:«تقصد... انك...؟»
وحين طأطأ رأسه موافقا عادت فسألته:«مصرف كبير؟»
اجابها مبتسماً:«واحد من اكبر المصارف العالمية.»
قالت وهي تشعر بألم غريب يغمر قلبها:«لكن لماذا لم تخبرني يا نيكولا؟»
«سامحيني. انا على الأقل لم اتعمد خداعك، ليس في البداية، لك حين بدأت مسألة الفيلا تلك استغليت الفرصة لأخذ استراحة من العمل، الاستراحة الأولى لي منذ ثماني سنوات.»
«أي منذ...؟»
«هذا صحيح. منذ ذلك الصيف انهكت نفسي كليا في العمل، لبناء المصرف وشق طريقي عبره، راحتي الوحيدة كانت الرسم لكن حتى انا شخصيا بدأت افكر بضرورة الإبطاء قليلا من سرعة العمل، لذا عدت الى موطني الاصلي، الى جذوري، الى سكايثوس حيث كنت اكتشف للتو ما كدت أنساه، ان هناك اشياء اخرى في الحياة غير ملاحقة السلطة والثروة، ثم وصلت

انت، واعتبرتني... ما كانت كلمتك بالضبط؟ اجل اعتبرتني فنانا عديم المسؤولية وأنا لم ارغب بتخييب ظنك بي.»
«لكنك كنت تبيع لوحاتك في ذلك المعرض.»
«انه ليس أي معرض.» تابع وقد شعر ببعض الذنب:«انه في الواقع معرضي وملكي.»
تمتمت بصوت خافت:«فهمت.» وعادت فرفعت نظرها إليه متسائلة:«لكن لماذا يا نيكولا؟»
«ارجوك حاولي ان تفهمي يا حلوتي. مع انه من اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليك ادركت انني رجل ضائع إلا انه كان علي التأكد منك. بدوت مصممة كليا على الحصول على الأمان المادي على كل الاشياء التي باستطاعة ريتشارد تأمينها لك. وأدركت حينها انه إذا كان علي الفوز بك وأخذك منه فيجب ان يكون ذلك لأجل شخصي انا لا لأي شيء آخر.»
قالت:«هذا صحيح. كنت ضائعة، ارى ذلك الآن، لكن المسكين ريتشارد لم تكن له ادنى فرصة امامك.»
اجابها ضاحكاً:«المسكين ريتشارد؟ حين وصل كنت مذعوراً منه.»
قالت له بابتسامة مشعة:«لهذا تصرفت بفظاظة معه. لكن لم يكن من داع لذلك، كنت غارقة

بحبك حتى رغم عدم ادراكي لذلك حينها.»
قال بلهجة هادئة:«الآن وقد عرفت الحقيقة اتظنين بمقدورك نكث وعدك بعدم الزواج من موظفٍ مصرف ابداً؟»
«حسناً، عليّ التفكير في ذلك. لست فعلاً...»
بدأت بإغاظته لكن حين شدها نيكولا إليه بغضب مصطنع تابعت بضحك:«اجل، اجل اظنني سأقوم باستثناء في حالتك.»
«آه، يا حبيبتي الصغيرة.»
ابعدها نيكولا عنه قليلا ناظراً الى ساعته وقال:«سامحيني يا حبي لكن عندي اجتماع عمل بالغ الأهمية لا أستطيع الغائه ولا حتى لأجلك. فقد وصل ممثلون للمصرف من طوكيو وقد اخرت موعدهم السابق معي لليوم فور معرفتي بوصولك الى سكايثوس، سأذهب لقائهم الآن ولدى عودتي سننزل معا لشراء خاتم الزواج. الآن تعالي وساعديني في البحث عن ملابس مناسبة للاجتماع.»
قادها الى غرفة نومه المجاورة والمؤثثة بشكل رائع وبلوني الأخضر الغامق والعاجي، لكن ليس السجادة الافغانية الرائعة هي من جذب نظرها ولا غطاء السرير الحريري بل اللوحة الضخمة المعلقة على الجدار قبالة السرير.

استدارت نحو نيكولا بعينين برّاقتين ساحرتين.
فقال برقة:«انت لم تعتقدي فعلا انني قد أبيعها، أليس كذلك؟ يا عزيزتي، احتجت الى هذه اللوحة كي تؤنس وحدتي اثناء اشهر الانتظار الطويلة.»
فتح خزانة ملابسه بعد ذلك وقال لها:«بإمكانك اختيار ملابسي الآن، لديك ذوق رائع بكل شيء خصوصا باختيار الأزواج.» صاح حين ضربته بخفة على رأسه وتابع:«والآن ما رأيك؟»
نظرت الى البذلات الرسمية الكثيرة داخل الخزانة وقالت:«حسنا، قميص حريري أبيض، وهذه البذلة... لكن أي ربطات العنق اختار؟»
ضحك نيكولا وقال:«أختاري المناسب فيما انا استحم.» وغادر الغرفة ضاحكا.
سألها بعد ان انتهى من ارتداء ملابسه:«هل منظري أنيق؟»
اجابت بثقة:«بكل تأكيد.»

* * *

«هل انت سعيد يا سيد كيفين؟»
قالت بدلال:«اجل.» قبل يدها وسألها:«سعيدة يا سيدة كيفين؟»
اجابته بابتسامة مشرقة:«جداً جداً لدرجة لم

www.liilas.com

اشعر بها من قبل ابداً.» كانت تجلس على احدى كراسي الخيزران على الشرفة في الفيلا.
قال:«لا تتحركي.» وأخذ يبعد خصلات شعرها عن جبينها، وسقطت بعضٍ حبات الأرز على ثوبها فتناول احداها قائلا:«مكافأة مالية، هذا معنى الأرز اليس كذلك؟»
اجابت بدلال:«هذا ما سمعته بدوري.»
«لكن ماذا عن الوظيفة التي اريدك ان تستلميها في فرعنا الانكليزي؟»
«لا يوجد مشكلةٍ، أليس كذلك؟»
نظر بحنان قائلا:«آه يا ريبيكا، كم احبك.»
«وأنا احبك بشدة يا عزيزي.»
سألها:«وماذا عن والديك، هل تظنين انهما سيحباني بدورهما؟»
ردت بصدق:«اجل. إظنهما سوف يقتنعان بزواجنا شيئا فشيئا نظرا لان صهرهما واحد من اغنى الرجال في اليونان.» قهقهت متابعة:«لا اظن امي صدقت ذلك بالبداية لكن الرخام والذهب في جناح الضيوف خاصتهما في شقتنا هو ما اقنعها بذلك. آه، وهذا ايضا، بالطبع.» رفعت يدها اليسرى مظهرة خاتم الالماس الضخم اللامع تحت اشعة الشمس.
سألته:«وماذا عن والديك؟»

«آه، انهما سعيدان لنجاح خطتهما.»
«أي خطة؟»
«أفصح عنها والدي هذا الصباح قبل انطلاقه لاتمام مراسم الزفاف، يبدو يا حبيبتي انني لست الفنان المحتال الوحيدٍ في العائلة، فقد تم الايقاع بنا نحن الاثنين معا.»
«لكن كيف؟»
«الخلاف بشأن الفيلا، لم يكن هناك من خلاف اصلا.»
حدقت به بذهول واستقامت في جلستها قائلة:«تقصد الرهان.. لم يكن من رهان اصلا؟»
«لا، لقد حدث الرهان بالفعل وكما سمعنا عنه تماما. لكن لاحقا توصلا معا للاستفادة من ذلك، اتذكرين مجيء جدك الى انكلترا قبل وفاته؟»
«طبعا.»
«عاد بمعلومات افضى بها سراً لوالدي، اول المعلومات ان العيادة التي ارتادها هناك اكدت له ما يشعر به وهو امكانية استمراره على قيد الحياة لسنة اخرى على الأغلب بسبب مشاكله القلبية.»
وحين ترقرقت الدموع في عيني ريبيكا

احاطها بذراعيه وهو يرتب على يدها بحنان.
سألته:«وما هي المعلومات الأخرى؟»
«ان شعلة الاختلاف التي اكتشفها فيك قد تم اطفاءها على يد والديك وريتشارد. وفي الوقت ذاته كان والداي قلقين من عدم استقراري كما يقولون لذا فقد اتفقوا على مسألة الخلاف بشأن الفيلا، وجدك بالطبع كتب وصية جديدة تمت على يد محامي أبي في اثينا، فما كان بالامكان اشراك ستافروس مايكل بهذا نظرا لرفضه القطعي لذلك.»
«لكن كيف كان لهذه المسألة جمعنا معاً؟ فكل ما فعلناه هو الاقتتال كالقطة والفأر.»
«أملا انه بعد انتهاء الاقتتال فيما بيننا ستعود تلك الشعلة القديمة للاشتعال مجدداً.»
«مجدداً؟ تقصد انهم عرفوا بشأننا منذ المرة الأخيرة؟»
اجابها بسعادة:«اجل، كان جدك يراقبك بحذر ويراقبني بشدة من دون ان نعرف بذلك. وبالنسبة لوالدي فقد شاهدا ما احتجت ثماني سنوات لأراه وهو انه منذ تلك اللحظة التي خرجت فيها إلي تلك الحورية الجميلة من البحر واقتربت مني لم يعد في حياتي متسعا لأي امرأة اخرى ابداً.»

«آه، نيكولا.»
قال:«هيا لنذهب الى فيلتنا.»
«اجل، فيلتنا... آه، تذكرت للتو، اتعلم انني كتبت للسيد جوناس اخبره انني تنازلت عن الفيلا لك؟»
«اجل.»
«فأجابني ان هناك بعد التعقيدات، اتعرف ما هي تلك التعقيدات؟»
قهقه قائلا:«اظن ذلك، فكما ترين يوم وصول رسالتك بالضبط كنت في مكتب مايكل لإخباره عن تنازلي عن الفيلا لك.»
«لكن لماذا؟»
قبلها بخفة وأجابها:«لأن هذا المنزل يا حبيبتي مهما كان جميلا فهو مجرد مكان فارغ من دونك.»
نهضا بأيد متشابكة، سألته ريبيكا:«هال ذهبنا الى بستان الزيتون؟ فقد مر وقت طويل منذ شاهدته آخر مرة.»
لكن بعد دقائق بوصولهما اليه نظرت ريبيكا حولها قائلة:«آه، لا، لقد اختفت كل الازهار.»
فطمأنها بصوت حنون:«ستعود للظهور السنة القادمة، فهي تفعل ذلك دوما، انظري.»
انحنى ملتقطا زهرة بنفسج وحيدة ناولها إياها.

قالت برقة:«اتعرف.. طيلة فترة غيابي، كنت احلم كل يوم بوجودي هنا.»
رفع حاجبه بإغاظة وسألها:«آه، وماذا كنت تفعلين يا ترى؟»
ضحكت واحمرت وجنتاها مجيبة:«لست واثقة من ضرورة اخبارك بذلك.»
«لربما بعض ما كنت إراه أنا في احلامي.»
ابتسم لها بخبث متابعا:«لكن من الذي يحتاج الى الاحلام الآن فيما نحن نعيش في الواقع؟»
رفع وجهها إليه وحدق بعينيها متمتما باليونانية.
فسألته:«ماذا يعني ذلك؟»
هز رأسه قائلا:«عليك تعلم لغتي واكتشاف ذلك بنفسك.»
اجابت بحماس:«بالطبع سأفعل. بوسعك اعطائي درسي الأول الآن.»
«آه، لا. ليس الآن لربما في المستقبل.»
فيما عاد صوت العندليب الرائع يصدح في الاجواء كان الزوجان السعيدان قد غرقا في عالم الحب والشوق والسعادة ترفرف حولهما وتغني لهما مع اوراق اشجار الزيتون...

تـمت

www.liilas.com